

محرقة بالباط الشهداء ففي التـاريخ الأسـلامـي والمـاورية



دار الفکر

دكتور
عبدالفتاح مقلد الغنيمي

معركة بلاط الشهداء

في التاريخ الإسلامي والأوروبي
(رمضان ١١٤ هـ - أكتوبر ٧٣٢ م)

(بواتيه poitiers)

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الحفيظ لوروت - القاهرة ت ٣٩٢٦٤٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناشر

عالم الكتب للنشر والتوزيع

الإدارة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٢٤٦٢٦ فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة : ٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة - هاتف : ٣٩٢٦٤٠١

الفهرس

الاهداء :	٥
التمهيد :	٧
المقدمة :	١١
الفصل الأول : الخلافة الأموية وغزو أوروبا	١٩
الفصل الثانى : الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس	٢٧
الفصل الثالث : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا قبل بلاط الشهداء	٣٩
الفصل الرابع : مقدمات معركة بلاط الشهداء (بواتيه poitiers)	٤٩
الفصل الخامس : عبدالرحمن الغافقى ومعركة بلاط الشهداء	٥٧
الفصل السادس : أحداث بلاط الشهداء (بواتيه poitiers)	٦٩
الفصل السابع : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا بعد بلاط الشهداء	٩٣
الفصل الثامن : لن تكون بلاط شهداء (بواتيه) أخرى فى القرن الحادى والعشرين فاماذا تخوف أوروبا من الاسلام	١١١
الخاتمة :	١٢٣
المصادر والمراجع العربية والأجنبية	١٣٣

الاهداء

إلى الفائد موسى بن نصير أول من عبر جبال الألب والفتح فى أرض فرنسا
إلى السمع بن مالك الخولانى الذى استشهد على أرضها وواصل رفع الراية
الاسلامية

إلى عنبسه بن سحيم الكلبي الذى وصل بالراية الاسلامية إلى بلده سانس على
بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس العاصمة الحالية .

إلى شهيد معركة بلاط الشهداء عبدالرحمن الفافقى الذى دفع بالراية الاسلامية
الثابتة تحقيقا لاقامة دولة اسلامية

إلى عقبه بن الحجاج السلولى الذى كان يسعى إلى تحقيق هدف القادة السابقين
ببناء دولة اسلامية ثانية على الأرض الأوروبية .

إلى كل شهداء الفتوحات الاسلامية على الأرض الفرنسية منذ ثلاثة عشر قرنا .
وإلى العشرين مليون مسلم الذين يعيشون فى أوروبا يشكلون القاعدة الراسخة
للبناء الإسلامى حفاظا على الهوية الاسلامية وتمسكا بالقيم والثوابت التى جاء بها
قرآننا الكريم وسنة رسولنا الكريم محمد بن عبدالله ﷺ .
إلى كل هؤلاء جميعا تلك الدراسة عن صفحة لم يأت ذكرها الا فى سبعة
اسطر فى مصادر عربية متفرقة فكانت بلاط الشهداء .

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

السبت غرة جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٥ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٩٤

التمهيد

التاريخ هو ذاكرة الامة والشعوب ولكل امة من الامة ذاكرتها التي تعنى بها تاريخها وأحداثها والشعب القوى الصلب هو الذى يعنى أحداثه الماضية لكي يستفيد بها فى حاضره ومستقبله لأن محتويات التاريخ الانساني ليست الا عبرة للحاضر وانطلاقة للمستقبل لكن طمس هذه الذاكرة ومحو دروس التاريخ يؤدي بالامة إلى فقدان التوازن التاريخي وحدث الخلل المستقبلي مما يترتب عليه عدم فهم الأجيال لحقيقة التاريخ حقيقة صحيحة ومن هنا فإن دراسة الأحداث التاريخية فى تاريخنا الإسلامى الممتد إلى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان أمر ضرورى بل حتمى لكي نستطيع الإنطلاق إلى القرن الحادى والعشرين برؤية علمية موضوعية استفادة من أخطاء الماضى وتصحيحاً لأوضاع الحاضر دعماً لقواعد البناء الحضارى الإسلامى المنطلق من الماضى عبوراً للحاضر والمستقبل وعياً لدرس التاريخ بدلاً من إخضاع الإنسان لعملية تفريغ وطمس للهوية وطمس ذاكرته وتشويه تاريخه وتعطيل عقله وحواصة ولوى الحقائق والتعتيم على الحقائق ووصف العدو بالصادق وربما بالخليف فى فترة قادمة .

ولقد ألقى الكاتب الصحفى المصرى العالمى الأستاذ محمد حسنين هيكل محاضرة قيمة فى مؤتمر الادارة العليا بمدينة الاسكندرية يوم الخميس ٢٧ / ١٠ / ١٩٩٤ م تحت عنوان [التنمية البشرية والتطور الادارى والاقتصادى] نشرتها جريدة الاهرام القاهرة يوم السبت ٢٩ / ١ / ١٩٩٤ م وقد جاء فى فقرات هذه المحاضرة اشارة من الكاتب الكبير قوله «إن أوروبا تتحدث هذه الأيام عن خطر الاسلام الزاحف وكان جحافل المسلمين واقفة وراء أسوار أوروبا تهدد باجتياحها وتنادى لرد بواتيه (poitiers) اجتماعية حلت محل بواتيه العسكرية التى كاد الإسلام بها أن يدخل أوروبا لولا أن تصدى شارل مارتل لوقف زحف المسلمين .

ولما كان جل الحاضرين بل القلة منهم هم الذين يعرفون اسم بواتيه أو بلاط الشهداء وإن كانوا يعرفون المعركة لكنهم لا يعرفون متى وقعت وفي أى قرن من القرون وقعت هذه المعركة ومن هو فائدها من المسلمين وما هو موقع هذه المعركة فى البلد (فرنسا) النبى وقعت فيه ولما كانت هذه المعركة قد ترتبت عليها نتائج سلبية فى حركة المد الإسلامى فى أوروبا لاسيما أن خطة الفتح الإسلامى فى ذلك الوقت من القرن الثانى الهجرى ١١٤هـ/ الثامن الميلادى ٧٣٢ م كانت تضع فى نهجها الوصول بالرأية الإسلامية إلى غرب أوروبا انسياحا فى سهوله الواسعة عبر جبال الألب وشمال إيطاليا ثم جنوب بلاد السلاف وسهول الدانوب (يوغسلافيا وبلغاريا) فالقسطنطينية ثم آسيا الصغرى (تركيا) حتى تصل إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية فى ذلك الوقت.

لكن هذه المعركة (بواتيه) حالت دون تحقيق هذا الهدف وتوقف المد الإسلامى جنوب باريس بما يبعد مائتى (٢٠٠ كيلو متر) فى موضع بين مدينتي تور (Tours) ومدينة بواتيه (poitiers) وتوقف المد الإسلامى نهائيا نظرا لوقوف أوروبا خلف شارل مارتل تساعده وتقدم له كل عون عسكري حتى يحول دون أن تصبح فرنسا إسلامية عربية كما حدث فى أسبانيا.

ولما كانت المادة العلمية عن تلك الدراسة معدة للنشر لا تحتاج إلا المراجعة سريعة حتى يمكن الدفع بها للطبع لتكون بين يدي القارئ الكريم لاسيما أنه قد سبق أن صدر لى كتاب بعنوان (كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون، وكتاب الإسلام والثقافة العربية فى أوروبا).

ومقالات بعنوان الإسلام والثقافة العربية فى فرنسا، والإسلام والمسلمون فى فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء فإن كل ذلك مساعد بأن نقدم الدراسة بصورتها التى بين أيديكم.

ولاشك أن الخوف الذى تشعر به أوروبا حاليا وهى على أعناب القرن الحادى والعشرين الميلادى من خطر الإسلام عليها فإنه خوف لا يشكل الحفظة، لأنه يمحى وراء أهداف سياسية قد أشار إليها شيمون بيريز وزير خارجة اسرائيل

=====

(١٩٩٤م) رئيس وزراء اسرائيل حاليا قائلا فى جلسة مغلقة فى اجتماع المجلس الاوروبى فى اسبانيا والذى عقد فى اواخر شهر سبتمبر ١٩٩٤ م حيث كان اهم ماقاله أن اسرائيل تقدم نفسها كضامن للعالم ضد خطر الإسلام ومن هنا فإن الغرب عليه أن يقف وراء إسرائيل باعتبارها الحاجز للإسلام والواقى لأوروبا ضد زحفه وعودته .

اننا حين نضع تلك الدراسة عن معركة دارت رحاها منذ ثلاثة عشر قرنا فإنها لانعيش فى ذاكره أو وجدان الانسان العربى المسلم بينما هى تعيش فى وجدان الانسان الاوروبى فأردت أن يعرف عنها القارىء الكريم مايعرفه الانسان الاوروبى . عن تلك الأحداث .

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسولنا الكريم محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فإن التاريخ الإسلامى عبر مسيرته الطويلة التى تمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرنا مليئا بالعديد من الغزوات والمعارك التى خاضها جند الإسلام والتى حققت بعضها منها نتائج ايجابية والبعض الآخر كانت له نتائج سلبية على حركة التاريخ الإسلامى ولما كان التاريخ هو ذاكرة الأمة فإن لكل أمة من الأمم ذاكرتها التى تعى أحداثها عبر الأجيال المتعاقبة وصلا للماضى بالحاضر ونظرة للمستقبل. ولما كانت بعض الشعوب تصاب بفقدان الذاكرة وتفقد الصلة بماضيها وتاريخها ولا تنظر إلى الماضى لكى تتلافى أخطاء الحاضر. فإن الشعوب الأوروبية بما تملك من الذاكرة القوية فإنها فى نهاية القرن العشرين تعيد إلى الأذهان أحداثا تاريخية حدثت منذ ثلاثة عشر قرنا (١٣٠٠ عام) وتحاول أن تضع أمام أجيالها المعاصرة رؤية مستقبلية للقرن الحادى والعشرين تخوفا من أن تتكرر صورة تلك المعركة التى هي محور دراستنا فى هذه الصفحات القلائل وهى معركة بلاط الشهداء كما أطلقت عليها المصادر العربية، أو كما تسميها المصادر الأوروبية معركة بواتيه Poitiers فإن أوروبا تصرح كل اسبوع أو اسبوعين بعقد مؤتمرات وندوات ودراسات وكتابات عن خطر الإسلام على أوروبا فى القرن الحادى والعشرين وأن بواتيه أخرى سوف تزحف إلى أوروبا ولكنها ليست بواتيه عسكرية ولكن بواتيه دينية اجتماعية حضارية فكأن العالم الغربى ينظر إلى الإسلام بأنه الخطر الوحيد الذى يهدد الحضارة الغربية فى القرن القادم. وكما جاء فى مقال صموئيل هانتجتون فى مجلة Foreign Affairs التى تصدر فى جامعة هارفاد بقوله ان هناك خطا من النار يمتد من أندلسيا شرفا إلى المغرب غربا يهدد حضارة الغرب يجب الوقوف ضده. والقضاء عليه بأية وسيلة من الوسائل .

ومن هنا كان الواجب يحتم تنشيط الذاكرة العربية الإسلامية لكي تعود للوراء مسافة طويلة من الزمن حيث القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي لنسقدم هذه الدراسة لكي تكون عبرة وعظة لما يسود الساحة الإسلامية في أحداث وصراعات ومخاطر يسعى العالم الغربي من ورائها لتمزيق الوحدة الإسلامية التي لم تعد تجتمع الا في أداء العبادات وفريضة الحج وتختلف في كل شيء. ومن هنا فإنه كان لابد من التعرض لدراسة معركة بلاط الشهداء وأثارها السلبية على حركة المد الإسلامي والمسرح الدموي الذي دارت الأحداث عليه والمحاولات الصعبة المستميتة بعد تلك المعركة لدفع الراية الإسلامية والتصدى الأوروبي لحملات الفتح على مدى أربعين عاما حتى وقف المد الإسلامي في جنوب جبال البرت وقضت على تطلع المسلمين في المدى البعيد بالتطلع مرة أخرى إلى الأراضي الفرنسية وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثمانية فصول في تسلسل متصل الحلقات يعتمد بنائها على القاعدة الأولى وهي الفصل الأول والذي كان عن الخلافة الأموية وغزو أوروبا وكيف ان خطة الفتح الإسلامي لأوروبا قد بدأت منذ عهد عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث ثم تحققت في عهد معاوية بن أبي سفيان بمحاولات فتح القسطنطينية ولما حالت أسوار المدينة عن الفتح فكان الاتجاه إلى الغرب وبعد فتح المغرب كان الاتجاه شمالا لفتح الأندلس وتم الفتح ومن ثم كان الاتجاه في التفكير إلى ما وراء جبال البرت حيث الأراضي الفرنسية الواسعة التي بدأ موسى بن نصير في التحرك إليها عبورا لهذه المعابر تحقيقا لحلم فتح أوروبا وصولا إلى دمشق.

وكان الفصل الثاني عن الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس. وكيف أن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ هـ) وكان مترددا قد شعر بخطورة فكره موسى بن نصير في غزو أوروبا فخاف على الجند الإسلامي فكان استدعاء موسى إلى دمشق لدراسة الموقف معه لكن الأجل لم يمتد في عمره وآلت الخلافة إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الذي لم يبدى اهتماما كبيرا بالفتوحات الإسلامية في الغرب ومن هنا لم تأخذ الحركة الإسلامية بعداها المرسوم لها وكان استدعاء موسى عامل ضعف في حركة الإندفاع الإسلامي عبر

سهول فرنسا وكان الفصل الثالث عن الفتوحات الإسلامية في فرنسا قبل بلاط الشهداء وفيه تحديث عن معركة تأمين الحدود الشمالية للأندلس كان يقتضى الإندفاع فى سهول فرنسا الجنوبية وكيف قام العديد من الولاة الذين تولوا حكم الأندلس بأعمال عسكرية من شأنها تثبيت الوجود الإسلامى خلف جبال البرت وكيف قام العديد من الولاة أمثال السمع بن مالك الخولانى وعنبسه بن سحيم الكلبي بدور بارز وفعال فى حركة الفتح وكيف وصل عنبسة فى حركة تقدمة وصولا إلى باده سانس Sens على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب العاصمة باريس الحالية واتف أن المسلمين فقدوا السمع وعنبسه شهيدين فى أراضى فرنسا وكيف أنهما مهذا الطريق لمن يأتى بعدهما كى يعمل على تدعيم الوجود الإسلامى وتثبيت قواعده فى هذه المناطق وجاء بعد الفصل الثالث الفصل الرابع الذى كان موضوعه مقدمات معركة بلاط الشهداء وماهى الظروف السياسية على الجبهة الأندلسية والمقابل لها على الجبهة الأوروبية وكيف كان وصول المد الإسلامى الإندفاعى إلى قرب باريس تحركا لأوروبا لكى تحشد جيوشها خلف قيادة (شارل) الذى قضى على المعوقات فى فرنسا ووحده الجبهة استعدادا لملاقاة المسلمين وكيف كان الوالى المسلم الشهيد عبدالرحمن الغافقى الذى قاتل أكثر من مرة فى الجبهة الفرنسية يعد العدة للوصول بالراية الإسلامية إلى باريس لكى يتحقق بناء الدولة الإسلامية الثانية فى أوروبا بعد الأندلس وماسيكون عليه الحال بين القوتين المتصارعتين خلف وجبال البرت (المسلمون والفرنجة) .

ثم كان الفصل الخامس: عن دور عبدالرحمن الغافقى ومعركة بلاط الشهداء والتحريك ورسم خطة الفتح على أساس الاستقرار وادخال البلاد فى حوزة الإسلام وليس الهجوم الخاطف والعودة دون استقرار كما حدث فى السابق فى عهد السمع وعنبسة . وكيف استولى الغافقى على العديد من المدن التى تساقطت بسرعة مذهلة أمامه وكيف وصلت قواته حتى مدينة تور Tours حتى أن المصادر الأوروبية نذروا أن الغافقى قد استولى على مدينة بواتيه Poitiers التى دارت أحداث المعركة بالقرب منها وكيف أن المسلمين استولوا على مدينة تور شمال

بواتيه بأربعين كيلو متر وكان الوصول إلى «تور» هو أقصى امتداد منظم للتوسع الإسلامي . وكيف كان على الجانب الآخر شارل مارتل يضع أوروبا أمام مسؤولياتها التاريخية التي تقف خلفها البابويه في روما تدفعها لصد الهجوم (البابا جريجوري الثالث) والتي لم تقتصر على الفرنجة وحدهم بل تعدتهم إلى شعوب الشمال وكانت الحشود تزيد عن أربعمئة ألف جندي وكان أن تراجع الغافقي إلى سهول بواتيه لإتخاذ موقعه بها بعد أن وصلته معلومات عن كثافة الحشد الأوربي ، لكن تحركات شارل كانت سريعة وما لبث شارل أن دفع قوات المسلمين جنوبا ليدرك مقدمة الجيش الإسلامي .

ودارت أحداث المعركة التي دامت عشرة أيام كان الانتصار في الأيام الأولى للجيش الإسلامي لكن إلتفاف الجيش الأوروبي من الخلف والوصول إلى القلب حيث استشهد القائد عبدالرحمن الغافقي .

فما كان من كبار القواد وهيئة المستشارين إلا رسم خطة الانسحاب المنظم الذي تم ليلا ورحلت القوات الإسلامية إلى قواعدها في الأندلس بعد أن فقدت الكثير من أفرادها الشهداء .

وكان الفصل السادس عن أحداث بلاط الشهداء وماهى العوامل التي أدت الي تحقيق الأوربيين لهذا النصر وأسباب الانسحاب والظروف التي حتمت على المسلمين ضرورة الانسحاب وكيف اكتفى شارل وقواته بما حققوه من النجاح في وقف التقدم الإسلامي وعدم التحرك خلف القوات المنسحبة إلى الأندلس وكيف تغنى المؤرخين الغربيين بهذا النجاح فى حين أن وقوف المد الإسلامي عند هذا الحد قد أخر تقدم الحضارة الأوروبية عدة قرون (القرن الثامن) والنهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر .

وجاء بعده الفصل السابع وكان عن الفتوحات الإسلامية فى فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء وفيه تحدثت عن مواصلة الولاة الذين حكموا الأندلس بعد استشهاد الغافقي ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) وكيف أن هؤلاء الولاة عملوا من جانبهم على

المحافظة على الأراضي الواقعة جنوب فرنسا حفاظا على الوجود الإسلامي ومن ثم اهتم هؤلاء الولاة ببناء المعاقل والحصون وحشد القلاع بالسلاح، لكن بعض الولاة بل القواد المحليين قاموا بالفتح وتوسيع نطاق وحداتهم المحلية مثل القائد يوسف الفهرى الذى تحرك وسيطر على اقليم بروفانس وواصل تقدمه حتى نهر الديورامي والحفاظ على ماحققوه من مكتسبات فى الأراضي الفرنسية ولقد كان آخر الولاة الذين كان لهم دور بارز فى الفتح هو عقبة بن الحجاج السلولى الذى ثبت الكيان الإسلامى فى هذه المناطق المفتوحة وشحد الطموحات لاستعادة مافقده المسلمون فى فرنسا من جراء معركة بلاط الشهداء ولقد ظل يفتح طوال أربع سنوات حتى كاد أن يصل إلى مكان معركة بلاط الشهداء . لكن وفاة واستشهاد عقبة أنهى مرحلة التوسع بعد أن فشلت الجهود فى تحقيق التوسع النهائى بضم فرنسا وتكوين دولة اسلامية تجاور الأندلس وتكون امتداد بعد ذلك إلى دولا أوروبية أخرى .

ثم كانت الخلافات العصبية بين العرب أنفسهم وبين العرب والبربر عاملا قويا فى سحب قوة الدفع العسكرية التى وصلت إلى أربعين ألف جندى للدخول فى الصراع الدائر بين القيسية والسيائية فأدى ذلك إلى خلل عسكري ساعد على تقدم أبناء مناطق شمال البرت للاستيلاء على كل الأماكن التى سحب منها الجند الإسلامى وبذلك تشجع هؤلاء على الانقضاض على مدينة أربونه عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩ م لتسقط بقايا الأمل فى العودة إلى فرنسا مرة أخرى واكتفى المسلمون بالتوقف جنوب جبال البرت وعدم التطلع للشمال نحو فرنسا وكان الفصل الثامن هو نهاية المطاف فى البحث بعنوان لن تكون بلاط شهداء أخرى فى القرن الحادى والعشرين . ولماذا يتخوف العالم الغربى (أوروبا والولايات المتحدة) من خطر الإسلام والعالم الإسلامى يعيش ممزقا إلى وحدات اقليمية قومية وتحت ظروف تخلف علمى واقتصادى ليس بقادر على الانتقال إلى أوروبا كقوة عسكرية أو اجتماعية أو سياسية للسيطرة على أوروبا مرة أخرى بعد ثلاثة عشر قرن . لكن الخوف من محاولة أبناء الغرب معرفة حقيقة الإسلام والقرآن الكريم فهذا الموضوع لا دخل للعالم الإسلامى فيه انما هى رغبة الأوروبيين والأمريكان فى معرفة جوهر الإسلام وحقيقة القرآن .

ثم جاء بعد ذلك خاتمة البحث التي توصلت فيها إلى خلاصة هذه الخطة العلمية
ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي عولت عليها كثيرا حتى
كانت هذه الدراسة بهذه الصورة.

ونهاية أسأل الله أن تكون هذه الدراسة تنشيطا للذاكرة العربية والإسلامية لكي
تتدارك السليبيات وصولا إلى تحقيق الإيجابيات يوضح صورة بلاط الشهداء بقدر
ما أتيح لى بين يدي القراء لتبصرة الأجيال الحاضرة والقادمة على طريق الإسلام.
والله ولى التوفيق

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

الملك فيصل / غرة جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٥ نوفمبر «تشرين ثانى» ١٩٩٤ م

الفصل الأول

الخلافة الأموية وغزو أوروبا

الخلافة الأموية وغزو أوروبا

كانت الخلافة الأموية منذ عهد الخليفة الأول معاوية بن أبي سفيان تتطلع إلى غزو القارة الأوروبية لنشر العقيدة الإسلامية ودعوة أهلها إلى القرآن الكريم لاسيما أن فكرة الغزو الإسلامي كانت فكرة مخططى الإستراتيجية الإسلامية لرفع الراية الإسلامية فى القارة الأوروبية وذلك منذ عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ولما كانت جدران مدينة القسطنطينية قد حالت دون اختراق المسلمين للقارة الأوروبية من الناحية الشرقية . فإنه لا يوجد أدنى شك فى أن التوجه إلى الشمال تطلعا إلى أوروبا قد كانت فكرته موضوعا مطروحا للدراسة والمناقشة فى بلاط الخلفاء الأمويين الذين اخذوا على عاتقهم التوسع فى بلاد المغرب وإتمام فتحه لاسيما أن الوليد بن عبد الملك بن مروان عندما أرسل قائده موسى بن نصير لإتمام فتح المغرب كانت الرؤية الإسلامية فى بلاط الخليفة الأموى توضع أسبانيا بين الأقطار التى تضمها الاستراتيجية الإسلامية للتوسع والتى لا بد أنها ظهرت إلى حيز التنفيذ عندما وصلت الخلافة الأموية فى دمشق أنباء سقوط مدينة طنجة فى أيدي القوات الإسلامية وهى الميناء القريب والمشرق على أسبانيا لاسيما وأن المسلمين قد عرفوا أنه لا توجد هناك بلاد وراء بحر الظلمات (المحيط الأطلسى) فكان التوجه الشمالى نحو أسبانيا هو التوجه الطبيعى لاسيما أن العامل الجغرافى والبعد الامتدادى وقرب أسبانيا من المغرب قد لعبت الدور الأكبر فى فكر رجال الاستراتيجية العسكرية الإسلامية للقفز على أسبانيا لاسيما أن هناك جيلا من رجال الدعوة الإسلامية والمقاتلين الأشداء من البربر حديثى العهد بالإسلام الشديدي الإيمان برسالة القرآن والذين خبروا كل ألوان القتال بعد أن أمنوا خط الدفاع الغربى للفتوحات الإسلامية بالوصول إلى مياه المحيط فكانت أسبانيا هى الهدف القادم لأنها ضرورة حتمية فرضتها سياسة نشر الدعوة الإسلامية والتوسع فى ادخال أهل أوروبا فى هذه العقيدة هى الطابع العام للدولة الإسلامية أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ هـ).

لاسيما أن عقبة بن نافع الفهري قد امتطى صهوة جواده واتجه صوب الغرب إلى المحيط الأطلسي فلم ير الا بحرا هائلا وحسب أنه ليس هناك خلف هذا البحر عالم آخر واناس يعيشون فإذا موسى بن نصير يتجه شمالا ورأى أوروبا وعزم على أن يعبر هذا المضيق وينشر الإسلام خلفه خاصة وأن سكان أسبانيا كانوا يحكمون مناطق في المغرب استولى عليها المسلمون وكانوا لذلك في صراع مع المسلمين لاسيما أن التوسع جنوبا عبر الصحراء الكبرى والانتشار في مجاهل هذه الصحراء لم يكن وارد في فكرة السياسة الإسلامية الأموية لذا فإن الاتجاه لفتح أوروبا عن طريق الأندلس هو الاتجاه الطبيعي والمقبول بعد احراز الانتصار الواسع والتمكن لقوى الإسلام في المغرب والسيطرة على ضفاف مضيق جبل طارق الجنوبية وهكذا كان الباعث السياسي هو المحرك الأول لعملية غزو أسبانيا. وكان غزو أسبانيا عملية حربية تفوق كل العمليات الحربية التي أنجزتها الدولة من قبل ولذا كانت دراسة الأمر عن قرب والاطلاع على كل تفاصيله رغم موافقة الخلافة على الخطة والتي شاركته نفس الموقف بل حفزته للتقدم وكان أن تم العبور وحقت الغزوة انتصاراتها العسكرية وكان موسى بن نصير يتابع ويراقب باهتمام شديد الموقف على الساحل الأفريقي ويتبع أخبار الحملة.

ويبدو أن أخبار الانتصارات بقيادة طارق بن زياد في كل أنحاء أسبانيا قد كان لها وقع طيب في نفس موسى بن نصير أمير القيروان مما حفزته لكي يتحرك . بنفسه على رأس قوات اسلامية فيكون قائدا للعمليات العسكرية وليقف هو شخصيا على طبيعة الأوضاع القتالية ومراقبة سير العمليات عن قرب وهكذا كان القرار بأن يكون موسى بن نصير الذي هو المسئول الأول والقائد العام للجيش في المغرب وأسبانيا لكي يتخذ قراراته الحاسمة في الوقت المناسب لاسيما أنه كان يقدر الموقف ويدرسه بعناية كافية ويضع كل الأمور في موضعها الصحيح ويضع لكل شيء حسابه لاسيما أنه بعث للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يستأذنه في العبور واصدار الأمر له بالإنطلاق إلى أسبانيا. ولما كانت القيادة الإسلامية في دمشق قد أعطت الضوء الأخضر بالتحرك سريعا لاجتياز المضيق بعد أن كانت القوات لدى

طارق بن زياد على أهبة الاستعداد فإن تحرك موسى بن نصير لقيادة القوات المنتصرة أمرا طبيعيا باعتباره المسئول الأول أمام الخليفة عن هذه التحركات العسكرية وكان موسى بن نصير يرى في طلب طارق بن زياد العون والمساندة السريعة دافعا له دلالة قوية يحتم عليه الزحف بقوات كبيرة لكى يكمل مع طارق اتمام فتح أسبانيا لأنه من المستحيل أن يتم فتح أسبانيا بالقوات القليلة المتبقية مع طارق بن زياد التى لم تصل إلى اثنى عشر ألف مقاتل.

وهكذا فى أقل من عام واحد كانت السيادة الإسلامية قد توطدت وثبتت اقدامها وتعمقت جذورها فى كل الأراضى الأسبانية فقد استقر المسلمون نهائيا ولم يعد هناك أدنى شك فى توطيد النفوذ الإسلامى فى أقل من عامين (٥ رجب - ٩٢ هـ / وأواخر عام ٩٤ هـ).

وهكذا كان تحقيق الهدف الذى جاء الجيش الإسلامى من أجله لأقوى من أى أسباب أخرى لأن دافع المعانى الإسلامية السامية قد جعل من المسلمين أمة لا تتخلف عن تقديم كل شىء من أجل إعلاء كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله لاسيما أن الجند الإسلامى الفاتح قد وطن نفسه منذ العبور على الاستقرار لأنه يتمتع بالروح الإسلامية العالية التى توفرت لدى الفاتحين عاملين على رفع راية الإسلام لكى تسود شريعة الله ويكون الدين كله لله عاملين على ابتغاء مرضاة الله تعالى وحده (لا غالب الا الله)

وكان موسى بن نصير قد أدرك خطورة الانتشار الواسع للقوات الإسلامية فى أسبانيا دون تغطية عسكرية كافية فأبحر فى رمضان ٩٣ هـ/ يونيو ٧١٢ م بقوات بلغت ثمانية عشر ألفا.

ومن هنا فإن فتح الأندلس لم يكن عملا مرتجلا بل كان يسير وقف خطة علمية موضوعية مرسومة ومدروسة من قبل قيادة القيادة الإسلامية العليا فى دمشق وتنفيذها يتم فى القيروان.

وبعد أن تم العمل العسكرى التام بدأ موسى بن نصير يمارس عمله كأول ولاية الأندلس فى طليطله وهو أول حاكم مسلم يحكم قطرا أوروبا وكان تأكيد ذلك عندما أمر موسى بن نصير بضرب عملة إسلامية فى دار السكة بطليطلة وأرسلت الرسل (مغيث الرومى، على بن رباح اللخمى) إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق يخبراه بما تم المجازة من نصر عظيم ولكى تذاع أخبار هذه الإنتصارات فى أرجاء العالم الإسلامى وإرسال بعض الهدايا البسيطة للخليفة وليس كنوز، وجواهر كما يذكر المؤرخون الغربيون لأن الخلافة الإسلامية لم يعنىها من الأمر الا نشر الإسلام وتوسيع دائرة المد الإسلامى والعمل على اخراج الشعوب الأوروبية مثل غيرها من الشعوب التى وصل إليها نور القرآن لكى تكون فى نطاق العمل الإسلامى الموحد فى ظل الخلافة الإسلامية.

وهكذا كان قرار موسى من وجهة النظر العسكرية هو السيطرة على هذه المدن ثم فتحها ولقد شعر موسى بأن الوقت قد حان لاتخاذ قرارات تنظيمية باعلان الحكم الإسلامى والشريعة الإسلامية فى المدن المفتوحة وعقد موسى مجلسا حربيا لبحث الموقف العسكرى العام ومناقشة المرحلة التالية فى الفتح وما جرى فيها وأتفق موسى بن نصير وطارق بن زياد على تنسيق الفتوحات الباقية ببلاد الأندلس.

ولقد كانت الخلافة الأموية تسعى لخدمة الإسلام لأن الهدف كان قرآنيا بحثا ومن هنا كانت الخلافة على استعداد لإرسال الجنود والبذل بالأرواح والأموال والتضحية التى كان خلفاء بنى أمية حريصون عليها ويجدون فى الفتح والغزو سيرا على خطى الخلفاء الراشدين وتلك هى سمات الدولة الإسلامية وسمات الخلفاء الأمويين الذين يعملون لأجل نصره الإسلام وإرسال الفقهاء والعلماء وبث الروح الإسلامية فى البلاد المفتوحة وبناء المساجد وإنشاء الإدارة الإسلامية التى تسير وقف نهج القرآن الكريم وشريعة الإسلام والتى تعمل على المساواة بين المسلمين جميعا بغض النظر إلى الأجناس والألوان واللغات فالكل سواسية يسعون جميعا لهدف واحد هو العمل من أجل نشر الإسلام وتعريف غيرهم بالقرآن الكريم ومنهجه.

وتذكر المصادر أن موسى بن نصير قام بدور فعال في الفتوحات شمالا حتى بلغ جبال البرت أي الأبواب وهي التي تسمى البرانس ووقف على أبواب فرنسا.

وقد استخدم العرب جبال البرنيه من الجنوب للشمال للعبور أي غاليا «فرنسا» منذ أن وطئت أقدامهم هذه الجهات وكانت هذه الجبال الشاهقة الوعرة حاجزا هاما على مر القرون يفصل شبه الجزيرة الايبيرية عن غاله ويصف الجغرافيون المسلمون القدامى جبال البرنيه (أو البرت أو البرتات) وصفا لا يختلف كثيرا عما تقدمه كتب الجغرافية الحديثة في ذلك إذ أن يصف الشريف الادريسي في كتابه (نزهة المشتاق في أختراق الأفاق) هذه الجبال فيقول والأبواب الرومانية طولها من الشمال إلى الجنوب مع سير تقويس سبعة أيام وهو جبل عال جدا صعب الصعود فيه أربعة أبواب لها مضائق يدخلها الفارس بعد الفارس وهذه الأبواب عراضى لها مسافات وهي منحرفة الطرف وأحد هذه الأبواب الباب الذى فيه ناحية برشلونة ويسمى برت جامة والباب الثانى الذى يليه يسمى برت أشيرة، والباب الثالث منها يسمى برت شني روا Roncesvalles وطوله فى عرض الجبل خمسة وثلاثون ميلا والرابع منها يسمى برت بيونه ويتصل بكل برت (باب) منها مدن فى الجهتين فما يلى برت شيزروا مدينة بنبلونه وهو الذى أطلق عليه ممر الرونسفال وهو أقرب المسارات إلى مدينة نبلوسه وهذا الممر الغربى هو الممر الذى عبرة فيما بعد عبدالرحمن بن عبدالله الغافقى عندما اتجه عمليا لغزو فرنسا وكانت موقعة بلاط الشهداء وبواتيه هي محور دراستنا

وهكذا فإن الذى ينظر إلى طبيعة هذه الجبال الشاهقة والممرات الطبيعية التي كانت نخترقها والتي لا تسمح الا بمرور فارس واحد يدرك مدى الصعوبة التي كان يلاقيها المسلمون فى عبورهم هذه الأماكن الخطرة الوعرة التي كانت تشكل حاجزا طبيعيا صعبا حال دون التوسع فى ارسال الحملات إلى فرنسا ولولا وعرة هذه الجبال لتغير الموقف التاريخى فى هذه المناطق ومن ذلك فإن الفتح الإسلامى للأندلس لم تكن به جبال شاهقة مثل جبال البرت وهذا سهل عملية الفتح بينما أعاقت جبال البرت فى الإنطلاق الإسلامى فيما بعد فى أرجاء أوروبا الواسعة.

إضافة إلى أن موسى بن نصير قد اتجه غربا ودخل أشنوريس وبذلك فإن موسى يكون قد فتح مناطق فى الأراضى الكبيرة (فرنسا) حيث جبال البرت وقاد حركة المد الإسلامى بنفسه وانطلق بالسرايا التى معه وفتح بلاد فى جنوب فرنسا حتى بلاد قرقشونه واريونه، وابنسيون وليون على نهر الرون وربما يكون موسى قد وجه السرايا لاختيار هذه المناطق وربما تكون سرايا استطلاعية كتلك التى قام بها طريف بن مالك لاستطلاع الأندلس قبل العبور لفتحها ويذكر ابن خلدون أن موسى بن نصير قاد السرايا بنفسه وراء جبال البرت فى فرنسا وقد تكون هذه السراي التى ربما قادها بنفسه، أو أرسل أحد من أبنائه عبد الأعلى أو عبدالعزيز أو مروان لاستكشافها مادام أنه قريبا منها وإن أحد التابعين واسمه (حيان بن أبى جبله) قد غزا فى بلاد الفرنجة مع موسى بن نصير إلى بلدة يقال لها قرقشونه .

ومن هنا فإن لاعتجب أن فكر موسى بن نصير بعد أن فرغ من فتح أسبانيا أن يعبر جبال البرت إلى بلاد غاله (فرنسا حاليا) ثم يمضى إلى أن يفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية بطريق أوروبا بعد أن استعصى فتحها على المسلمين من الجانب الشرقى ثم يستمر موسى فى فتوحه حتى يصل إلى بلاد الشام مركز الخلافة الأموية .

وقد رأى المؤرخ المقرى فى أن موسى كان يأمل أن يخترق مابقى عليه من بلاد الفرنجة وأن يقتحم الأراضى الكثيرة حتى يصل بالناس إلى الشام مؤملا أن يتخذ مخترقة بتلك البلاد طريق سلكة، أهل الأندلس فى سيرهم ومجيئهم من الشرق وإليه على البر لا يركبون البحر وهنا كانت فكرة ابن نصير صائبة لأنه كان سيسلك طريقا برياً معروفاً ويخترق بلاد عدة وأن أهل أسبانيا والأوروبيين قد سلكوا هذا الطريق فهو كان سيزحف فى طريق واضح المعالم ومعروف من قبل أهل الأندلس والأوروبيين .

ولكن الدكتور حسين مؤنس يستبعد أن يكون موسى بن نصير قد فكر فى أمر خيالى عسير التحقيق كهذا أما غيره من المؤرخين المحدثين أمثال عبد الحميد العبادى فيرى أن موسى بن نصير قد فكر بعد أن أتم فتح أسبانيا فى أن يعبر جبال البرانس

إلى أرض غالبا «فرسا» ومنها يسير إلى فتح روما ثم القسطنطينية ومن أجل هذا المشروع الضخم استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك قائده موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد فالخليفة كراع مسئول عن رعيته كان يخشى أن يلعب النصر العظيم برأس موسى فيغرر بالمسلمين في أرض واسعة وطريق لم يقطعه فاتح من قبل فلم يخترق أوروبا جيش موحد من أسبانيا إلى القسطنطينية ويرى الدكتور فيليب حتى في أنه على الرغم من أن هذه الفكرة الهائلة والخلابة إلا أن حلم العرب بأن يقتحموا طريقهم عبر أوروبا يجوز أن يكون قد مر بأذهان بعض القادة العرب الذين لم يكن معلوماتهم عن جغرافيا أوروبا كثيرة.

ومن هنا كان اختيار بلاد (غال) الأراضى الكبيرة قد تم بهذا الشكل وهذا يعطى الدليل على أن موسى بن نصير وطارق بن زياد استمرا في عمليات الفتح شمال أسبانيا حتى ولو لم يذهب موسى بنفسه وراء البرت فانه استمر في ممارسة أعمال الفتح في مناطق الثغر الأعلى وما بعده في اتجاه الشرق والشمال وأن موسى فتح بلاد (الباسك) البشكنش وأوغل في بلادهم وأنه فتح بنفسه وربما التقى مع طارق وتعاونوا معا في الفتح وأن اللقاء كان حسب خطة مدروسة وترتيب سابق.

وهكذا كان التحرك الإسلامى فيما وراء البرت ماهي إلا خطة مدروسة للتوسع في الفتوحات وضم فرنسا إلى الأراضى التي تم فتحها في أسبانيا توطئه للانطلاق منها إلى جهات أوروبية أخرى وصولا إلى دمشق العاصمة الأموية عن طريق القسطنطينية بعد أن تدين له جنوب أوروبا وأن يستمر في رحفه حتى يفتح القسطنطينية من الغرب بعد أن عجز حصار معاوية بن أبى سفيان عن فتحها من الشرق فكانت خطة التوسع في سهول فرنسا تحقيقا لهذا الهدف البعيد الذى يسعى إلى احتواء أوروبا تحت لواء الإسلام الذى كان هدف القيادة السياسية فى دمشق. فى ذلك الوقت والتي عملت ماوسعها العمل لتحقيق هذا الهدف.

الفصل الثاني

الخلافة الأموية واستدعاء
موسى بن نصير من الأندلس

الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس

فى الوقت الذى كانت فيه القوات الإسلامية تنطلق شمالا وشرقا عبر الأراضى الفرنسية كان ضابط الاتصال والارتباط بين القيادة العسكرية فى الأندلس والخلافة الأموية فى دمشق (مغيث الرومى) قد عاد من مهمة فى دمشق بعد أن قد حمل رسالة من موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، لكنه بعد فترة زمنية قصيرة عاد يحمل أمرا من الخليفة يوقف العمليات العسكرية فى أوروبا وعدم التقدم والزحف شمالا والتوقف فورا وكان القرار واضحا صريحا فى عدم التقدم قيد أنمله ووقف العمليات العسكرية (٩٥ هـ / ٧١٤ م) ولا يستطيع أحد تفسير دوافع الخلافة الأموية من وراء قرار التوقف هل كان نتيجة لاجراء خاص من الوليد الذى أراد الوقوف مباشرة على انجازاته فى الأندلس فى وقت ربما شعر باقتراب نهايته «الموت» أم أن المسألة أبعد من ذلك ولها ارتباط باستراتيجية الدولة التى خشيت من انتشار المسلمين فى بلاد بعيدة وليس ثمة شك أن القرار فى غير محله وأضاع فرصة التاريخ الإسلامى التى لن تتكرر مرة أخرى باجتياح القارة الأوروبية على أيدي المسلمين والأحداث المستقبلية التى ستجرى على الساحة الفرنسية تثبت كيف ستكون نهاية مد خط الإسلام لكن على الجانب الآخر كان موسى يريد اجتياح القارة الأوروبية لاسيما أن قواته التى تحرك بها من المغرب والبالغ عددها ثمانية عشر ألف جندي لم تكن قد دخلت فى معركة كبيرة مع قوات الأعداء سواء داخل أسبانيا أو داخل الأراضى الفرنسية فى الجنوب والى تم السيطرة عليها. وان هذه القوات كانت لانزال مستعدة لتزحف إلى أوروبا فى وقت لم تكن فيه أية قوة أوروبية تستطيع الوقوف أمام الزحف الإسلامى الجارف لاسيما أن المدد كان بحالته التى قدم بها من المغرب والقوات على استعداد للزحف السريع لأنها لم تشتبك فى معركة حقيقية لكن موسى بن نصير أمهل مندوب الخلافة (مغيث الرومى) بعض الوقت للتقدم فى الأراضى الفرنسية وكذلك فى قشالته لتأمين الحدود الشمالية للولاية وكان قرار استدعاء الفاتحين فى أسبانيا سببا فى عدم توطيد النفوذ الإسلامى فى تلك المناطق داخل هذا الاقليم والأقاليم الأخرى فى

الشمال الغربى التى صارت فيما بعد منافذ للحركات القومية فى أسبانيا حيث انطلق منها تيار الاسترداد عندما ضعف الحكم الإسلامى فى البلاد فكان عدم القضاء عليها سببا فى تقوية الروح القومية للأسبان ولقد كان آخر اجراء منحه موسى لنفسه رغم الحاح رسول الخليفة هو التقدم فى اقليم قشتاله غير أن ذلك لم يتحقق الا بصورة جزئية وتركت بعض الأجزاء فى المناطق الشمالية الغربية كما هى دون فتح .

وهكذا أنجزت احدى أضخم عمليات الفتح فى الدولة الأموية فى مدة لم تتجاوز الأربع سنوات استطاع خلالها موسى بن نصير وطارق بن زياد أن يرفعوا راية الحكم الإسلامى لأول مرة فى القارة الأوروبية والتى بدأت تطلعاتها بعد آخر لاسيما أن طموح المسلمين لم يقف عن حد اطواء شبه الجزيرة الأيبيرية تحت لواء الإسلام بل كان هذا الطموح كثيرا ما يقفز وراء جبال البرنيه التى تفصلها عن مملكة الفرنجة وهناك تحت أقدام هذه الجبال ربما تكون فكرة التوغل فى أوروبا وتطويق الدولة البيزنطية قد داعبت خيال القائد العربى موسى بن نصير كما أشار إلى ذلك ابن خلدون ولكن ذلك يبقى فى اطار الإستنتاج على الرغم من أن تحقيقه فى تلك الظروف لم يكن مستحيلا الا أن خطة الدولة انتهت عند هذا الحد فأمرت القائد بوقف العمليات العسكرية فى أوروبا والعودة إلى دمشق ، وهكذا ترك موسى بن نصير أقليم (جليقه) استجابة لإستدعاء الخليفة فرفع الحصار عن مدينة «Lugo» بحليقه وقابله طارق ورحلا سويا إلى الشرق حيث عاصمة الخلافة الأموية دمشق .

ونستطيع القول أنه من الصعب التوقف بالنقد والتقويم أمام الأحداث التاريخية وخاصة اذا كان لهذا الحدث أبعاده الممتدة إلى مسافات بعيدة من الزمن ، وكان له نتائج مباشرة أدت إلى تغيير مسيرة التاريخ وفى هذه الأحداث التى يصعب وضعها فى الميزان التاريخى وتحديد نتائجها بدقة فى موضوع كعودة قادة فتح الأندلس إلى دمشق بهذه الصورة المفاجئة دون ابداء الأسباب .

ونحن لانستبعد أن تكون هذه الفكرة (الوصول من الأندلس إلى دمشق مخترقا أوروبا من الغرب إلى الشرق) قد دارت فى ذهن موسى بن نصير فقد كان قائدا

طموحا بعيداً لأطماع لاسيما أن موسى بن نصير قد اقترب فعلا من جبال البرانس وفتح البلاد التي يسكنها قوم يتحدثون اللغة البكتيه وهى بلاد مقفرة يسكنها شعب همجي ومن هنا قد أصدر الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان بل وألح على عودة موسى بن نصير من الأندلس إلى دمشق وفى هذا القرار غرابة محيرة لأنه ليس له شواهد كثيرة مع غيره من قادة الفتح الإسلامى الذين سبقوا موسى بن نصير فى سجل الفتوحات الإسلامية لاسيما أن موسى كان يعتزم بهمة عالية وتطلع إلى دخول جليقيه فى شمال غرب أسبانيا (أقليم الاسترداد) فبينما هو يعمل فى ذلك ويعد العدة له يأتى له الأمر بالخروج من الأندلس والأضراب عن التوغل فى الأراضى الفرنسية وهنا يتضح أن الخلافة هى صاحبة قرار التوقف وليس أية عوامل أخرى كانت وراء هذا القرار لكن موسى لطف رسول الخليفة وسأله الانتظار برهة من الوقت إلى أن ينفذ عزمه فى فتح حصن «لك» ثم المسير معه فأفتتح حصن بارو وحصن ليك حتى بلغ صخرة بلاي على البحر الأخضر وكان بلاي هذا هو الذى اشعل نار الثورة ضد الوجود الإسلامى وقاد معه ثلاثين شخصا حركة الاسترداد التي تم بها طرد المسلمين نهائيا من الأندلس وبث الشعور القومي الأسباني لتحقيق هذا الهدف ولما كان قرار استدعاء الخليفة لموسى بن نصير ونائبة طارق بن زياد قرار نهائيا فكان لابد من العوده إلى المغرب ولقد ترتب علي تلك العوده توقف مؤقت للزحف الإسلامى نحو مناطق شمال غرب اسبانيا وعاد القاده بجندودهم من هذه البلاد فى اتجاه الجنوب ومع رحله العوده (ذى القعدة ٩٥هـ/ ٧١٤م) توفقت عمليات الفتح (لأن موسى لم يعهد لاحد باتمام فتح الأندلس فى الشمال الغربى الأسباني وهذا يشير إلى ان ما بقى فى الشمال الأسباني دون فتح قليل جدا ولم يعد يشكل خطر على الوجود الإسلامى (وجه نظر موسى وطارق) فى حين كان يجب على الوالى الاول عبد العزيز بن موسى بن نصير بعد أبيه ومن تبعه من الولاة العمل على القضاء على هذه الجيوب التي من الممكن ان تشكل خطر فى المستقبل على الوجود الإسلامى بهذه الديار وقد وقع الجميع فى خطأ فادح بعدم القضاء التام على كل بؤر وجيوب المقاومة القومية التي تركت لما سيكون عليه الحال دون تحسب للاحداث فيما بعد .

لذا كان قرار استدعاء كل من موسى بن نصير ونائبه طارق بن زياد إلى مقر الخلافة الأموية لمقابلة الخليفة الوليد بن عبد الملك قرار لا يستطيع احد تفسير دوافعه وما هي الأسباب وراء هذا الإستدعاء لكن نضع امام القارئ الكريم تصورا مسبقا وهو ان قرار استدعاء موسى وطارق في الأندلس كان قرار له عواقب وخيمه على الإسلام والمسلمين في الأندلس وكان التعجل بعدم اتاحة الفرصه لتقدم موسى لا سيما أن هناك آراء تذكر أن رسول الخليفة «مغيث الرومي» لم يكن باراً بموسى في نقله من أخبار إلى الوليد عن الفتح وإنه كان يكره موسى ويريد به شرا لذا نقل الصورة غير الواقعية أمام مجلس الخليفة مما أثار حفيظة الخليفة وصور الأمر على إنه كارثة تحمل بالمسلمين إذ تقدموا في السهول الواسعة لفرنسا وأن مغيث الرومي كان رجلا متآمرا قلقا لاسيما إنه أصر على عدم تحرك موسى في فتوحاته شمالا لاسيما وان الطريق كان ممهدا للتقدم دون ادنى مقاومه من جانب المدن الجنوبية في الأراضي الفرنسية وكان ذلك يشكل قاعدة صلبة للاستقرار والانطلاق شمالا فيما بعد وقد يكون تفسير هذا القرار انه إجراء خاص من القيادة العليا في دمشق للوقوف مباشرة على أخبار الفتح في الأندلس وإنه يريد أن يستمع منهما عن أخبار الإنتصارات الباهرة التي كانت تصل إلى مسامعه عن طريق ضابط الاتصال مغيث الرومي وربما تكون المسألة لها أبعاد أخرى وروايات متعددة وأن المسألة ربما يكون لها إرتباط باستراتيجيه الدولة التي خشيت من إنتشار الإسلام في بلاد بعيدة وأنها ربما لم تكن تعد لامر عدته من حيث الحشد والتجهيز والإعداد البشري والمادى. وكانت ترى في وجود ثلاثين ألف جندي قتل منهم ثمانية ألف جندي قوة لاتستطيع التوغل في اوريا وأنه لا بد من اعادة النظر في أمر فتح غالة الفرنجة) ثم الانسحاب شرقا وصولا إلى القسطنطينة ثم دمشق بعد ان يتم اعداد العدة اللازمه للفتح وتجهيز القوات ثم إنطلاق موسى وطارق إلى الأندلس مرة ثانية لمتابعة الفتح وليس ثمه ادنى شك في أي القرار كان قراراً خاطئاً وفي غير محله ولاتوقتيه لاسيما أن الخلافة كانت دائما ترسل الإمدادات والمؤن والمعدات دون استدعاء القائد العام لكن القرار أضاع من المسلمين فرصه تاريخية لم ولن تكرر للمسلمين في أوربا إذا كان بإمكان هذه القوات اجتياح أوربا باقاليمها المتعددة دون أن توجد

قوة حقيقية تستطيع الوقوف أمام الزاحف الإسلامي لاسيما أن القاره وفرنسا بالذات لم تكن قد فاقت من صدمه القضاء السريع على دولة القوط فى اسبانيا وفقد لذريق قواته كامله فى معركة واحدة لان القوة الإسلامية لم تقابل فى تقدمها فى جنوب فرنسا حشود مثل التى قاتلها طارق بن زياد فى معركة شدونه أو لكه Lug وقد كان هذا الأمر من السهل تحقيقه لأن الظروف كانت مناسبة جدا ولم يكن هناك معوقات أو صعوبات تقف أمام القوات الإسلامية إلا أن خطة الدولة انتهت عندهذا الحد أمرت القائدين بوقف العمليات العسكرية فى جنوب فرنسا والعودة إلى الأندلس . وقد يكون للوليد بن عبد الملك حجتة ورأيه فى قرار الاستدعاء والتوقف عن التوسع ذلك لانه كان يتخوف على المسلمين ان يكونوا فى ارض بعيدة متقطعة ومحاطة بمناطق غير إسلامية ولا يمكن الاتصال بها بسهولة نظرا لبعدها عن بلاد العالم الإسلامي أو مراكز إرتباطه وإمداده وإنه أراد أن يبين له موسى الموقف بنفسه وفى حقيقة الأمر لو أن الاجل مد فى عمر الوليد بعد ان استمع إلى موسى وطارق لكان هناك رأى آخر فى اتمام عمليه الفتح وكان الموقف قد تغير نهائيا ذلك لان الوليد ليس هو سليمان الذي تولى الخلافة بعد اخيه .

لكن حدث ما حدث وقتلت فكرة موسى التى كان يسعى لتحقيقها وهي بناء دولة إسلامية فى فرنسا وان فتحها كان فتحا مستقرا وليس إرسال سرايا سرعان ما تعود إلى قواعدها جنوب جبال البرانس لكن إقامه دولة إسلامية فى فرنسا كما اقيمت فى الأندلس كانت تحتاج إلى خطط جديدة وليس الإندفاع والتقدم دون دراسة بل قوات أكثر عدة وعتاد وعدد آخر يتم تنفيذ الهدف ومن هنا كان قرار عبور جبال البرنيه «آلبرت» والوصول إلى الجبال ذات المنافذ إلى سهول فرنسا واختراقها والوصول إلى اريونه جنوب فرنسا ثم الإستمرار فى فتح الأراضي الكبيرة حتى الوصول الي الشام عن طريق دوله الفرنجة وشمال ايطاليا حيث بلاد اللمبارد وبقية أقليم ايطاليا ثم جنوب بلاد السلاف وجنوب سهول الدانوب (يوغسلافيا) ثم بلغاريا فالدولة البيزنطية حيث تسقط الفسططينة ثم آسيا الصغرى «تركيا» حتى يصل إلى بلاد الشام حيث العاصمة دمشق وهكذا كانت هذه الخطة

الجرثية من أسباب قلق الوليد ورأى أن ما يدور بفكر موسى ماسهو إلا تغرير بالمسلمين فبعث إليه وقال لسفيره مغيث الرمي وكتب له كتابا خطيا يأمره بالتوقف والعودة لمناقشة أمور الفتح ويذكر المقرئ في كتابه نفح الطيب عن عودة موسى إلى دمشق بإنه تركها «جنوب فرنسا» وهو مع ذلك متلهف على الجهاد الذي فاتته أسف على ما لحقه من الإزعاج وكان يؤمل أن يخترق ما يقى من بلاء الفرنجة ويقهطم الأرض الكبير حتى تتصل بالناس إلى الشام.

ونحن نؤكد هذه الفكرة والاقوال السابقة بشأن الوصول إلى القسطنطينة لاسيما أن موسى كان قد تجاوز فعلا جبال البرت وتوغل في جنوب فرنسا وهذه تقوى الفكره وتؤكدها فقد كانت واقعيه مدروسه من قبل قائد مدرب ماهر له خبره واسعة في بلاد المغرب والفتوحات ولست مجرد أفكار خيالية ذلك لأنه كما سبق القول فإن قواته الثمانية عشر ألف التي عبر بها من المغرب كانت لاتزال يكامل قوتها وقد يكون موسى كتب إلى الخليفة الوليد بخطته او يكون رسل موسى الذين أرسلوا إلى دمشق بعد فتح طليطله وكانوا هؤلاء قد ذكروا هذه الفكرة التي ينو موسى تنفيذها أمام الخليفة.

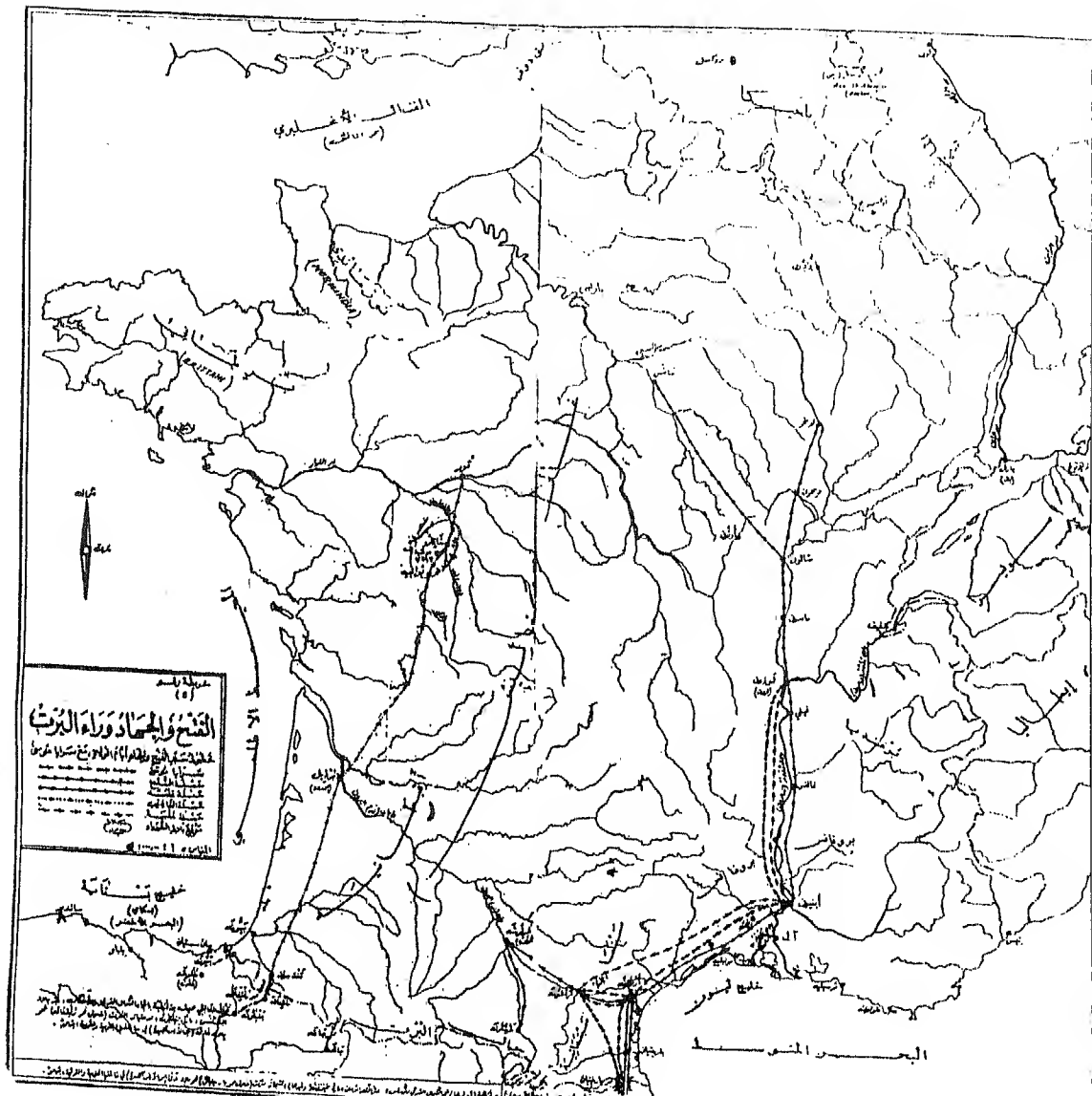
ومن هنا كان الخليفة الوليد قلق على جنود الإسلام وكذلك مما يذكر أن موسى أرسل في أواخر خريف ٩٤ هـ ٧١٣ م على بني رياح ومغيث الرومي لكي يأخذ رأى الخليفة في فكرة الفتح لكل أوربا وكان موسى قد أخبر الخليفة عن طريق هذين الرسولين بما تم المجازة وفتحته وما ينو القيام به من فتوحات لاحقه مستقبلية وكانت هناك اقوال تذكر ان الخليفة الوليد ارسل رسولا ثانيا الى موسى لكي يستعجله في العودة وكان رسوله الثاني هذه المرة «أبي نصر» وقد كانت المدة بين الرسولين حوال أربعة شهور وذلك دليل قوي على قلق الخليفة بشأن خطه موسى وفتح أوربا وكان موسى قد أمضى ثمانية شهور في الفتح في شمال اسبانيا حيث الأراضي الفرنسية شمال جبال البرانس منها أربعة شهور قبل الرسولين الاولين. مغيث الرومي وعلى بن رباح) والأربعة الاخرى بعد قدومهما من دمشق

وهكذا ترك موسى بن نصير عمليات الفتح فى جنوب فرنسا بعد ان رتب الأمور وهو فى مدينة لك Lugo منصرفا نحو جنوب فرنسا. وهكذا يكون موسى بن نصير قد ادى دوره تجاه الإسلام والمسلمين وتوفى وهو متوجها لأداء فريضة الحج برفقة الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو فى المدينة المنورة ودفن بالبقيع او دفن حسب روايات أخرى فى وادي القرى (العلا حاليا) شمال المملكة العربية السعودية. وكان موسى دائما يدعو الله أن يرزقه الشهادة أو يموت ويدفن بالمدينة المنورة وقد استجاب الله دعاءه وهكذا كان فتح الأندلس والتحرك شمال جبال ألبرت والانساح جنوب فرنسا معجزة من معجزات الإسلام التى بهر بها العالم اذ كيف استطاعت قوات إسلامية محدودة العدد والعدة التمكن من فتح هذه البلاد الواسعة وتحقيق تقدم سريع واجتياز مضيق جبال ألبرت انطلاقا إلى الأراض الفرنسية للمضى فى فتحها ولم تلحق بهم أية هزيمة عسكرية ولم يقابلوا قوه حقيقة فى الميدان رغم ما عرف عن القوط بأنهم أمه وصفت بالشجاعة والأمجاد العسكرية وأن كل ما قدم به المسلمون فى فتح هذه البلاد ثلاثين ألف مسلم قدموا أسبانيا على ثلاث دفعات ولم تكن دفعة واحدة مع تعدد الجهات وربما يكون قد أستشهد ربع هذا العدد بل أن القوات الأكثر عدداً التى عبرت مع موسى (١٨ ألف جندي) كانت لازالت مستعدة للزحف فى الأراض الاوربية الواسعة وصولا إلى القسطنطينة ثم دمشق وهكذا كانت تتم العملية الكبرى من وراء المد الإسلامى الواسع ومع ذلك فقد كان توقف اتمام الفتح والغزو لاوروبا رغم أن كل الظروف كانت تساعد على ذلك وأن يعود القرار للخلافة الإسلامية الأموية التى أضر قرارها بحركة المد الإسلامى على المدى البعيد ، وكانت عودة موسى وطارق من الأندلس دون التمكن من القضاء على جيوب المقاومة القوطية لا سيما فى الجزء الشمالى الغربى (جليقيه) ، وكذلك ضم المناطق الجنوبية لفرنسا للإدارة الأندلسية انضماما تاما ، كل ذلك كان سببا فى ضياع الأندلس وظهور حركة الاسترداد والسبب القوي والمباشر فى أحداث مستقبلية فى معركة بلاط الشهداء حيث اتاحت الفترة بين عودة موسى وطارق إلى بلاد الشام والتحرك القوى أيام عبد الرحمن الغافقي (١١٤هـ / ٩٥هـ) والعودة ومايقرب من تسعة عشر عاما أتاح لبلاد الفرنجة وباقي أوروبا أن تحس وتدرى مدى الخطر الذى يتهدها من جراء الوجود الإسلامى

في شبه جزيرة ايبيريا وقضائه على دولة القوط في أقل من أربعة أعوام والتحرك خلف جبال البرانس عملاً لضمها للإسلام ثم البقية تأتي لكل البلاد الأوروبية .

كل هذه المسببات كانت دافعا قويا لكي تتحرك دولة الفرنجة وماجاورها من أقطار أوروبية لكي تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الزحف الإسلامي القادم من الجنوب ، يرفع راية القرآن انقاداً لهذه الشعوب من عبودية الاقطاع وتمكن النبلاء وسيطرة رجال الدين وصكوك الغفران وحالة التخلف التي تعيشها هذه الشعوب في تلك الأونة من القرن الثامن الميلادي .

لكن من الأخطاء القاتلة ماتكون فيه نهاية أمة ودمار شعب وخراب أرض وهدم ديار وطرْد وتشريد ملايين المسلمين من ديارهم وأوطانهم . إن الاحداث لاتدرس بالتمنى والاحلام ولكن بالحقائق التاريخية والوقائع الرسمية التي لا يختلف المؤرخون في تحليلها ودراستها وتقول أن الكتابة التاريخية لا يمكن أن تعتمد على لفظ «لو» لكن المؤكد أن صورة التاريخ الإسلامي في الأندلس وأوروبا كانت ستكون شيئاً آخر لو لم يتم استدعاء وموسى وطارق معا ولو ان أحدهما ترك في الأندلس لسارت الفتوحات كما كانت . وإذا كان لنا ان نحبس في صدور نارنه اسف او اسي علي قرار اعادتهما لأن ما يترتب عليه من أحداث مستقبلية ولادار من قتال شديد على ارض بلاط الشهداء كان له ابعاد بعيدة تعود إلى عشرات السنين عندما استعدت بلاد الفرنجة ومن خلفها وتدعمها قوى البابوية وقوات اوربا بعد أن آفاقت على طرق لمسلمين لديارهم لتكون مستعدة تمام الاستعداد لمقابلة كل قوات إسلامية تعبر إلى أراض فرنسا وتجيرها على العودة إلى قواعدها في الاندلس وسوف تري في الصفحات القادمة كم قائد إسلامي اتشهد في تلك الاقاليم الجنوبية في فرنسا وبعد عبور جبال البرانس بمسافات قليلة وهكذا اتاح قرار استدعاء قاده الفتح (طارق وموسى) فرصه كبرى لكي تعيد فرنسا حساباتها وتقف بهجزم وقوه ضد التحرك الإسلامي وتوقف حركه المد الإسلامي عند أبواب بوتيه عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م . لكي تضع نهاية للتوسعات الإسلامية القوية وتحول دون تقدم آية قوات إسلامية أخرى إلى مدى يصل إلى بلاط الشهداء نهائيا .



الفصل الثالث

الفتوحات الإسلامية في
فرنسا قبل بلاط الشهداء

الفتوحات الإسلامية في فرنسا قبل بلاط الشهداء

بلغت قوة المد الإسلامي في جنوب فرنسا وخلف جبال البرت خلال عهد الولاة مبلغا عاليا وحازت سيقا كبيرا كان للمسلمين فيه نشاط واضح وبصورة رئيسية وراء جبال البرت ، وهذا يشير إلى جهود المسلمين المتواصلة في محاولات الفتح والاستقرار والظاهر أنه لولا رؤيه الولاة استتباب الفتح في الجزيرة الأندلسية واستقرار الأمور وتوطيد دعائم الحكم الإسلامي لما اقدموا كثيرا على ثقل ميدان الدعوة والغزو وراء جبال البرت ومن هنا تدرك أن مشروع غزو فرنسا واكتساح اورها لتنتشر رساله الإسلام بها لم يمت او ينتهى بنهاية رحيل موسى بن نصير عن الأندلس لكن المشروع ظهر مرة أخرى وهكذا لم يتوقف الفتح الإسلامي وراء جبال البرت إذ بذل عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥-٩٧ هـ / ٧١٤-٧١٦ م) جهودا واضحة بالسير بالراية الإسلامية إلى تلك المناطق جنوب فرنسا وانتقال الغزو والدعوة إلى الأراضي الكبيرة دعما لسياسة الاستقرار في هذه البلاد . إذ أرسل بعضا من قواده في حملات عسكرية إلى طركونه في الشمال حتى برشلونه عاصمة (ارغون وينسيلونا عاصمة الباسك في جبال البرنيه وبذلك تكون عملية الفتح في الأندلس قد استكملت نهائيا في عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥-٩٧ هـ / ٧١٤-٧١٦ م)

بحيث لم يبق خارج نطاق السيادة الإسلامية سوى بعض الجيوب الصغيرة كان من السهل تصفيتها لو أتخذت الأمور مسارها الطبيعي وهذا يعنى أن جيوبا صغيره في هذه المناطق كان الولاة يفتتحونها او فلولا تتجمع للمقاومة وتتحصن في مناطق نائية في المناطق الشمالية الغربية

كذلك فإن أيوب بن حبيب اللخمي (رجب ٩٧ / ذي الحجه ٩٧ هـ) وإلى الأندلس الذي خلف عبدالعزیز بن موسى قد وجه جهودة نحو الشمال ليطهر البلاد من آیه مقاومه أو تجمع فلول رغم قصر مده حكمه .

وجاء السمع بن مالك الخولاني (رمضان ١٠٠ / ذي الحجه ١٠٢ هـ . ٧١٩ م) إلى مركز عمله في قرطبه وهو مندفع بالحماس للعمل وراء جبال البرت والفتح في فرنسا . كان له نشاط واسعاً جنوبى فرنسا وإن كانت بعض المصادر تذكر أن الحر

بن عبدالرحمن الثقفي (٩٧-١٠٠هـ/ ٧١٦-٧١٩م) وهو الوالى الذى سبق السماح بن مالك الخولاني قد قام بالغزو وفي اراضى فرنسا وماوراء البرانس ويذكر أيضا «شكيب أرسلان» أنه غزا جنوب فرنسا حتى اربوبه عاصمة فرنسا الربوينه وظل بغزو هذه الارحاء من فرنسا الجنوبية حتى اضطر سكانها إلى طلب الصلح والإعتراف بالسياده الإسلامية على تلك المناطق التي بدأت تنطوى تحت لواء الرايه الإسلامية فى جنوب فرنسا واذا كانت الغزوات الحربية لعبدالرحمن الثقفي هى بداية الزحف الإسلامى فى أرض فرنسا بعد عهد موسى بن نصير وعلى الرغم من ان المصادر العربيه لم تشر إلى اعمال الحر الثقفي إلا أن المؤرخ الفرنس (كوديره) قد اشار إلى الفتوحات الحربية لعبدالرحمن بن الثقفي فى أرض فرنسا وتصميمه على ضم المناطق إلى دولة الإسلام الكبرى.

لكن الفتوحات الإسلامية فى فرنسا قد شهدت بعدا جديدا يتولى السماح بن مالك الخولاني ولاية الأندلس فقد نشطت حركة المد الإسلامى لنشر رساله الإسلام وتعميق أثرها فى نفوس الشعوب التى تسكن فيما وراء جبال البرانس ذلك لأن السماح بن مالك الخولاني كان رجلا قوى الإيمان راسخ العقيدة عاملا ماوسعه الجهد للجهاد فى سبيل الله وكان جم النشاط دائب الحركة والإستعداد لأنه بادر بالتحرك شمالا عبر الاراضى الفرنسيه وحول الحماس فى نفوس الجند إلى جهاد وأرد تحقيق حلم موسى بن نصير فى فتح تلك الأقاليم والوصول إلى دمشق شرقا وقد بذل نشاطا واسعا فى جنوب فرنسا وانفق جهودا كبيرة فى غالة Goule حتى طرسوكنه Tarascan وطولوشه Toulouse عاصمة اقباطيه Aquitania وقد قام السماح الخولاني فعلا بغزو سبتمانيه فى جنوب فرنسا وبها سبع مدن كبرى وكانت عاصمة اربونه وحدثت معارك عديدة هناك بعد أن انعطف نحو الغرب حيث نهر الجاردن مستوليا فى طريقه على مايقابله من مدن حتى وصل إلى تولوز فحاصرها واستولى عليها ودارت معركة بين المسلمين وبين دوق اقباطانيه واشتد القتال ويبدو أن هذا النشاط العسكري الكبير الذى قام به السماح

الخولي قد أفرع أهل اكواتياته فنهض دوقها وسار بجيشية حتى لقي السمع ودارت معركة عنيفة على مقربة في طولوشة Touilounse واستشهد كثرة من المسلمين منهم الوالي السمع بن مالك الخولاني في يوم الترويه أو وقفة عرفه عام ١٠٢هـ / ١٠ يونيو ٧٢١م) وقد ذكر ابن بشكوال في كتابه نفح الطيب ان السمع استشهد بأرض الفرنجة يوم الترويه سنة اثنين ومائة هجرية وذلك بعد أن أشد القتال ولكن الجند المسلم الذي عرف بقوة إيمانه ورسوخ عقيدته قاتل وثابر وبذل الدم من أجل نشر العقيدة الإسلامية وكتب الله الشهادة لقائد جند المسلمين ، وقد ذكرت مصادر أخرى أن السمع الخولاني استشهد بأرض الفرنجة في ذي الحجة اثنين ومائة كما في نص ابن بشكوال السابق وآخرين وتعنى كلمة الفرنجة عموما عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين سكان بلدان ما وراء البرت (الأرض الكبيرة) لاسيما فرنسا وتوجد في جنوب فرنسا مدينة اسمها قريب في طرسونه وقد كانت طرسونه قاعدة من قواعد شمال الجزيرة الأندلسية وهي عاصمة كورره تطيله Tudela وربما كانت اربونه تابعه لطربرونه اداريا .

ولم يستطع الجيش الإسلامي العودة إلى قواعدة بالأندلس إلا بفضل العناية الإلهية وبفضل أحد كبار جنده هو عبد الرحمن الغافقي . وكان عهد السمع ذو أهمية كبرى في الجهاد في سبيل الله في أرض فرنسا إذ أنه في عهده بدأت حركة الفتوح تأخذ وضع الإستقراء للجنود المقاتلة والحاميات فني أرض غاليه وأصبحت أربونه قاعدة أماميه لإتمام الغزو الإسلامي في تلك البلاد واتخاذها مركز لتجميع القوى الإسلامية للإنطلاق منها لفتح كل فرنسا .

وبذلك ضمنت مقاطعه سيطمانيه Septimania جنوب شرق فرنسا خلف جبال البرت إلى الولاية الإسلامية في الأندلس وكانت إدارة مستقلة بشئونها لكن تخضع للحكم الإسلامي في الأندلس وكانت مقاطعة تضم سبع مدن كبرى منها اربونه وقرقشونه وكانت سيطمانيه هذه أول ماوصلها مد الجهاد الإسلامي منذ أيام السمع بن مالك الخولاني الذي أشرف على قيام حكومه إسلاميه فيها نظم احوالها فاتخذ

من مدينة أربونه Narbonne عاصمه لها ويشير هذا إلى أن المسلمين افتتحوا منذ هذا الوقت المبكر لعهد الولاة كل هذه الأراضي الفرنسية ما بين أربونه في الجنوب متصلا بالبرت والأندلس على طول الشاطئ الشرقي وغدت منطقة إسلامية ضمن هذه الحكومة المحلية التي اتخذت عاصمتها أربونه قاعده الجهاد وراء البرت وكانت موقعة طولوشه هي أول محاولة جديده لاختراق البرنة إلى أوربا حيث طبعت هذه المرحله بطابع جهادى خاص تستطيع أن تطلق عليه سنوات المد الإسلامى لأوروبا فقد كان استشهاد السمع الخولاني نقطة ارتكاز وانتشار فى تلك الأقاليم فى ذلك الوقت وبناء إداره عليه وبعد استشهاد السمع بن مالك الخولاني تولى قيادة الجند الإسلامى في الأندلس عنسه بن سحيم الكلبي (١٠٣ هـ / ٧٢٣م) وقد كانت البلاد فى فوضى بعد استشهاد السمع واشتد النزاع والصراع بين العصبيات العربيه التي بدا يستفحل أمرها بالأندلس وقد كانت مهمته دقيقه إلى حد ما فقد جاء إلى قرطبه وعرب الأندلس خارجين من هزيمة قاسية وهى الأولى فى تاريخهم العسكرى الأوربي منذ أن وطئت أقدامهم أرض القاره الاوربيه عام ٩٢هـ / ٧١١ قد جاء عنسه إلى قرطبه والمسلمون فى البلاد خارجين من معركة قتل فيها قائدهم السمع خارجين من الخولاني) وهو اول قائد مسلم يقتل فى معركة حربه مع القوات الأوربيه شمال جبال البرانس وهو أول موقف بواجهه المدن الإسلامى ويقف الفرنجه يقاتلون المسلمين بهذه القوه حيث كانت هذه الظاهره هى الأولى فى تاريخهم العسكرى الأوربي حيث تركت تلك الموقعه الحربيه أثارها الواضحه على مجريات الأحداث فى ضروره مقابله التحدى الأوربي لقد حدثت هذه المعركه طولوشه (تولوز) فى فترة حكم الخليفه الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز بن مروان وفى فتره كان طبعها نشر الإسلام وإرسال الدعاء لتفقيه الناس وشرح تعاليم الإسلام .

ومن ذلك دور السمع فى نشر الإسلام وإستشهاده شمال جبال البرانس لنشر رايه الإسلام ومن هنا فإن هذه المعركه تعطى الدليل القوي على أن المد الإسلامى لم يكن إلا حركه دعوه للإسلام ولم تكن حركه غزو وسيطره وأسلاب وغنائم وسيطره سياسيه، وإلا لما أقدم المسلمون على الزحف لنشر الإسلام فى جنوب

فرنسا. وقدم عنبسه بن سحيم الكلبي (صفر ١٠٣ - شعبان ١٠٧ هـ) فقام عنبسه بنشاط جهادي كبير وراء البرت واستمر في تقدمه نحو الشمال ، والشمال الشرقي وقد كان عنبسه واحداً من الولاة الذين قاموا بجهد بارز في الفتح وراء جبال البرت وذلك دعماً للتفوق الإسلامي في الجزيرة الأندلسية ونقل ميدان الغزو إلى الشمال وربما يكون العمل وراء جبال البرت يقصد قطع دابر الفلول الفرنجية القوطية التي ربما كانت تسلك إلى شمال الأندلس في أي معبر في معابر البرت ومن هنا سلك عنبسه مسلك السمع الذي سلكه من قبل وهو مواصلة الزحف والغزو في أرض الفرنجة لضم هذه الأراضي إلى ديار الإسلام لكي تصبح فرنسا الدولة الأوربية الثانية الكبرى في أوربا بعد الأندلس ففكر في تدعيم خط الدفاع عن أريونه عاصمة أقليم سيطماتيه وكانت الامور قد استقرت في الأندلس فعجل بالنهوض لغزو فرنسا.

وأنه غير واضح قطعاً متى بدأ عنبسه جهادة وراء البرت وكم استغرق وهل خرج لذلك الجهاد مرة واحدة ام اكثر من مره وهل قاد كل هذه الحملات بنفسه أو سبق إليه أحد بواسطه القوات الإسلامية المرابطه في ثغر أريونه . ولكنه لم يسر في الاتجاه الذي سار فيه السمع بن مالك من قبل بل سار على الساحل فصعد بقواته مع نهر رانه حتى أدرك قرقشونه فحاصرها وشدّد عليها الحصار حتى نزل أهلها على شروطه ثم استولى عنبسه بعد ذلك على مدينة نيمه ، ثم واصل رحفه يحدوة الأمل في الإستيلاء على كل الأراضي الفرنسية وضمها إلى الإسلام شأنها شأن الأندلس والمغرب ومصر والشام وفارس وكل الأقاليم التي تخضع للدولة الإسلامية ثم الاتجاه شرقاً وشمالاً في فرنسا لفتح باقى أجزاء أوربا واستمر في رحفه الإسلامي حتى أدرك نهر ردنه وذلك دون أن يلقي أية مقاومة تذكر تعترضه في طريقه من الفرنجة وصعد مع النهر حتى وصل إلى نهر «ساوان» ، واستولى على (اوتون) ووصل إلى حوض الرون وفتح اقليم بروفانس واستمر في سيره شمالاً مستولياً على ليون حتى وصل إلى (اوتان) في أعالي نهر الرون وكان عنبسه الكليسي قد دخل اقليم يورجونيا ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه استولى على

مدينة أوزة ووصلت الموجة الإسلامية الزاحفة في الاراضى الفرنسية حتى مدينة فاكون وشألون وهناك تفرعت الحملة إلى فرعين سارت الأولى نحو ديجون وبتر ولانجر فاستولت عليها وسارت الحمله الثانية فى اتجاهها صوب (اوتون) مرة اخرى ولم يقف تيار هذه الحملة التى خرجت غازيه بالقرب من بلده سانس Sens على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس الحالية وكان هذا أبعد ماوصلت إليه جيوش إسلاميه مجاهده عند مدينة سانس . ومن هنا فإن قليلون فى عالم العربى والإسلامى المعاصر الذين يعرفون أن الإسلام قد توطدت دعائمه ورسخ بنيانه وزادت رقعته وأنه وصل في مداه الواسع إلى أرض فرنسا وعلى بعد ثلاثين كيلو متر من باريس عاصمة فرنسا الحالية وأن المسلمين قد يعرفون أن أجدادهم استقروا فى فرنسا مايقرب من قرنين فى الزمان .

وهكذا وصلت القوات الإسلامية بقيادة عنبسه الكلبي إلى قلب فرنسا وغزا حوض الرون كله ونخطت القوات الإسلامية نهر اللوار وأصبحت على مسافة قصيرة جدا من نهر السين نفسه وكان عنبسه من الولاه الذين استشهدوا فى ميدان الغزو والفتح حيث كان من أنشط القادة وله دور واضح فى الفتح بعد أن استمر فى تقدمه حتى وصل إلى سانس . ويذكر ابن خلدون وغيره فى المصادر العربيه أنه تقدم بعيدا فى الشمال داخل الأرضى الفرنسية فى حين ذكر شكيب أرسلان أنه وصل الى مدينه ساينس .

لكن هناك أمور داخلية فى الأندلس فرضت على عنبسه العوده إلى الأندلس دون انى يقيم قواعد دائمه فى هذه المناطق وكانت هذه الاسباب قد حدث من نشاطه هناك ولولا العوده إلى الأندلس لتغيرت الأمور أكثر ولسار المد الإسلامى إلى أبعاد أكثر عمقا فى الأراضى الفرنسيه . وهكذا عاد عنبسه إلى الأندلس إلا أنه استشهد فى الطريق قبل أن يصل إلى الأندلس وذلك فى شهر شعبان عام سبع ومائة هجرية ٧٢٦م فى معركة مع الفرنجه قبل عبوره معابر جبال البرت فى كمين نصب له حيث تكاثر عليه جند الفرنجة قبل عبوره معابر جبال البرت فأحاطت به وبمن معه من القادة المسلمين وهكذا استشهد عنبسه فى هذه المعركة وقد اختلفت

المصادر في تعيين مكان هذه المعركة إلا إنه لاشك قد كانت في شمال شرق فرنسا وقبل أن يعبر جبال البرت عائداً إلى الأندلس وهكذا اغتالت عصابات الطريق القائد المسلم العائد من الغزو في فرنسا وهو ثاني قائد بعد السمح بن مالك الخولاني يستشهد شمال جبال البرت في سبيل نشر الإسلام.

وقد مرت فترة من الزمن توقف فيها أى نشاط إسلامي ذلك لأنه مضت سنوات قليلة لا نملك فيها اخباراً عن نشاط جهادي جرى خلف جبال البرت في سنة مائه واحد عشر. وقد آلت قيادة الجيش بعد استشهاد عنبسه إلى غدره بن عبدالله الفهرى الذى رشحه أهل الأندلس للولاية لأنه نائب عنبسة على الجيش ولعله كان ساعده في العمل الجهادي بل كان في قلب المعركة التي استشهد فيها عنبسه وكان اختباره لمواصلة الغزو خلف جبال البرت وهناك اقول كثيره تذكر ان عنبسه لم يكن يريد من وراء هذه الغزوه الإسلامية الطويلة الزحف والاستقرار في فرنسا وإنما كانت حملته إلى فرنسا قصد من ورائها التمهيد للحملات الإسلامية التي تأتى بعدها واكتشاف الأماكن الضعيفة في تحصينات العدو وكان المسلمون قد استولوا على اقليم سيشماتيه وعلى عاصمته أربونه واستقروا واتخذوها قاعدة ومركز العمليات الحربية المتقدمة من شمال جبال البرت وكان عنبسه قد أخذ بثأر السمح واستولى على مدينه فرقوشه ولكن عنبسه لم يكن حذراً في اندفاعه في سهول فرنسا ولذا فإن الأعداء قطعوا عليه خط العودة واشتبكوا معه في معركة عنيفة بعد أن كمنوا له بين الجبال في الممرات الفاصلة بين فرنسا والأندلس وذلك عند محاولته العودة إلى الأندلس ووقف المد الإسلامي في فرنسا عند الحد مؤقتاً/

ويجب أن ننظر إلى هذه الحملة الجرئية إلى قادها عنبسه الكلبي حتى وصل إلى مسافه ثلاثين كيلو متر بالقرب من باريس عاصمه فرنسا الحاليه على انها كانت غزوة تشبه غزوة عقبه بن نافع الفهرى في اجتياز بلاد المغرب بسرعه مذهلة وصولاً إلى المحيط الأطلسي إنها كانت غارة بعيدة المدى تشق البلاد الفرنسية من الجنوب الى الشمال وتطلع المسلمين على أحوالها وتعد خططها لما بعدها ولو استقر عنبسه في ليون مثلاً في احدى مراكز فرنسا الوسطى لكان يمكن القول انه فتح جنوب

فرنسا وشرقه كله بل كاد يفتحها كلها اما وقد عاد أدراجه لظروف الأندلس الداخلية بعد ان قطع نحو أكثر من ألف ميل شمال قرطبه فإن حملته الرائعه أوضحت الرؤية الإسلامية أمام المسلمين عن حاله هذه البلاد وما هو الضعف الذي أصابها والانهيار الداخلي . على إنه يمكن القول أن عنبسه بن كليم الكلبي ينفرد بين الفاتحين المسلمين بهذا الفخر بوصوله بالرأية الإسلامية إلى قلب أوروبا ليستولى على أقاليم واسعة لم يسبقه إليها فاتح إسلامي من قبله ومن بعده وأنها هى المرة الأولى والأخيرة فى تاريخ الدولة الإسلامية التي تصل فيها قواتها إلى بعد لايزيد عن ثلاثين كيلو متر جنوب باريس الحاليه وكان مصير فرنسا قد استقر في أيدي المسلمين لولا الاضطرابات الداخلية فى الأندلس .

وتولى بعد استشهاده عنبسه الكلى قيادة القوات العائدة جنوبا وكذلك امور الأندلس عذره بن عبد الله القهرى) وتذكر الروايات التاريخية الأوربية والإسلامية أن المسلمين قاموا بأعمال حربية جريئة بعد استشهاده عنبسه مباشرة في أرض فرنسا ونهض قادة المسلمين وعادوا إلى حوض الرون وعزوا بلاد (الالبين واقليم روبرج وصفودن) وليقليه، وهذه الحملات كما ذكرتها الروايات على جانب كبير من الصحه ذلك أن القائد المسلم المجاهد عبدالرحمن الغافقي حين قام وعبر جبال البرانس وجد المسلمين الذين يعيشون فى أرض فرنسا فى حالة طيبة وروحهم المعنوية عالية ولو أن تقدمهم وقف عند الأعمال التي قام بها عنبسه الكلبي وهو الرجوع إلى الأندلس لما استطاع عبدالرحمن الغافقي أن يقوم بهذا العمل الإسلامى والحربي الكبير بالفتح فى فرنسا

وهكذا كانت الأعمال التي قام بها السمع بن مالك الخولاني ومن بعده عنبسه الكلبي ومن سبقهم من الولاة ومن جاء بعدهم حتى تولى عبدالرحمن الغافقي ماهي إلا مقدمات للعمل الذي سيقوم به الغافقي وهو الحشد والإنطلاق لغزو أوروبا فكانت بلاط الشهداء .

الفصل الرابع

مقدمات معركة بلاط الشهداء

بواتيه *Poitiers*

مقدمات معركة بلاط الشهداء (يوآتيه Poitiers)

كان استدعاء موسى بن نصير إلى دمشق وقد اجتاز جبال البرت الفاصله بين أسبانيا وبين بلاد الغال La Gaule التي عرفت حينذاك بحركة الفتح التي كان القائد العربي مصمما أن يمضى بها وراء الجبال وسواء أراد تحقيق مشروعه العسكري الكبير في اجتياح القارة الأوربية والوصول إلى ضفاف البسفور حيث القسطنطينية أم إنه أراد تأمين الحدود الدفاعية لاماراته الجديدة في الجنوب الغربي لاوروبا فإن هذا القائد بما يتمتع به من عبقرية عسكرية كان مستمرا في تقدمه وانتصاراته حتى دعوة الخلافة له بالتوقف ، لكن غياب القيادات العسكرية صانعه الانتصارات في أسبانيا لم يكن ليؤدي إلى تجميد الطموح الإسلامي وراء جبال البرث في قلب مملكة الفرنجة المجاورة ولاسيما أن الظروف كانت ملائمة للمضي في المخطط التوسعي ولم يكن من سبب يدعو إلى هذا الحد كذلك فإن ممارسات القواد في الأندلس لم تكن نابعة من قرارات الخليفة بقدر ما ارتبطت بحتميات الواقع الجديد الذي فرضته الإستراتيجية العسكرية للموقف المائل أمام قاده البلاد وربما لا تتفق مع أفكار الخليفة الأموي في عاصمته البعيدة ولاسيما لوآتيحت الفرص لموسى بن نصير ان يتابع عملياته العسكرية بعد وصوله إلى إقليم اراغون في الشمال الشرقي لأسبانيا هل كانت فرنسا ستصمد أمام جيوشة أم إنها تلافى مصير دولة القوط لكن النتيجة المتوقعة كانت ستكون بالإيجاب لا سيما أن أوضاع تلك الدولة المجاورة في تلك الفترة لم تكن تختلف كثيرا في أحوالها عن أسبانيا القوطية عشية الفتح الإسلامي لها .

ذلك لان الفترة السابقة لفتح الأندلس بقليل كانت بلاد الفرنجة تشهد ضعف سلطة الملوك وازياد قوه النبلاء في الدولة واتساع سلطة الكنسيه وكثرة ثرواتها وإنغماسها في السياسه الدينيه وتدهور السلطه العامه واندلاع الحروب الداخليه والمنازعات الداخليه التي عدت قاعده عامه في البلاد ثم اصبح تاريخ الفرنجة بعد ذلك حتى ظهور شارل مارتل عام ٧١٤م يمثل تاريخ النزاع بين العائلات في (الستريا واستراسيا) للفوز بمركز رئيس البلاط وكان الغاليون أو الفرنجة سكان تلك

المنطقة الواسعة الممتدة بين اللوار غربا ومن المانيا الحالية شرقا هم في الاصل كالقوط الغربيين أحد الموجات الجرمانية من الأسره الميروفنجيه التي اسست حكم البلاد منذ القرن الخامس الميلادى وقد جرى تقسيم تلك الدولة إلى ثلاثة أقسام رئيسيه هي اواسترااليا Austrasia نوستريا Naustria برغنديه Bargurdia عدا الاقطاعات بين الصغيره الأخرى وكثيرا ماجرى صراع بين الأخوة بينما انهارت سلطه الملوك تماما لكنه في أواخر القرن السابع الميلادى كانت اماره اوستراسياس قد حازت الغلبه فى النهايه من ذلك الصراع وكان ذلك يرجع فى الحقيقه الى رئيس بلاطها الذى كان بوسعه ان يضم من الاتباع مايزيد على مالدى منافسيه فى تستريا ويرغنديه وكانت فرنسا فى التاريخ الرومانى تسمى(غاله) وبعد سقوط الدوله الرومانيه تنازعت فرنسا قوى مختلفه فاصبحت سيثمانيه تابعه للقوط الغربيين وأصبح الأقليم الذى يحده نهر اللوار شمالا إلى جبال البرانس جنوبا دوقيه مستقله هي اكتيانيا إلى جانب اقليم بروفانس فى شرق سيثمانيه واقليم يرجانديا بشرق نهر الرون ، أما شمال نهر اللوار حتى المانيا الحالية فكانت مملكه تسمى مملكه الفرنجه الميروفنجيه وقد كان الفرنجه الذين غزوا غاله فى أواخر القرن الخامس الميلادي من أعظم القبائل الجرمانية قوه وأكثرها شهرة فى العصور الوسطى وكانت المملكه التي أقاموها هناك المملكه الجرمانية الوحيدة القوية التي كتب لها البقاء فى الغرب الأوروبي واعتنق الفرنجه المسيحيه الكاثوليكيه وأقاموا حلفا مع الكنسيه الغربيه واسهموا كثيرا فى صنع التاريخ الأوروبي فى العصور الوسطى لاسيما فى عهد شارل مارتل وابنه بنين القصير وحفيده شارلمان حين انتقلت السلطه فى منتصف القرن الثامن الميلادي إلى أسرة جديدة فى شكل رؤساء البلاد فى اواسترليسا ، ذلك انه فى الوقت الذى كانت الدوله الميروفنجيه تنحدر إلى الزوال وتعيش الحقبه الأخيره فى عمرها ويتعاضم نفوذ رؤساء البلاد (شارل مارتل) وتشتد مطامعهم للانفراد بالسلطه فى دولة الفرنجه عبر المسلمون إلى شبه الجزيره الليبيريه فى اوائل القرن الثامن الميلادى ليقتحموا اسبانيا وليقضوا على مملكه القوط الغربيين فى ظل ظروف الصراع والإختلاف التى مرت بها دولة الفرنجه كان المسلمون بقيادة موسى بن نصير يطرقون جبال البرت ويعبرونها إلى بلاد الفرنجه ويتحينون للوثوب عليها

ومن المؤكد أى قرار التوقف العسكرى اتاح لدولة الفرنجة أن تعى أبعاد الطموح الإسلامى فى غزو القارة الأوروبية وأن تدرس كافة الإحتمالات للمواجهة الحتمية مع هذه الحشود الإسلامية المنتصرة ، ولإحساس الفرنجة بالخطر الإسلامى فإنه لم يمضى عام واحد على عودة موسى بن نصير إلى المشرق (٧١٤/٩٥م) حتى قام فى واستراليا أكبر الأقاليم فى المملكة الفرنجية من أسرة هرستال Herstal بتوحيد أجزاء الدولة المبعثرة ، فبعد أن كان يسمى محافظ القصر Mairesdu palais اراد ان يتخذ له لقب ملك وسارع إلى إرسال سفراءه إلى روما يسأل البابا زكريا اليس من حق الشخص الذي بيده السلطة الحقيقية أن يكون له لقب ملك ؛ فأجاب البابا من حق الرجل الذي بيده السلطة الحقيقية أن يكون له لقب ملك وهكذا بدعم من الكنيسة أمراء الإقطاع استطاع محافظ القصر أن يكون هو الملك والرجل الناقد والشخصية الأقوى فى بلاد الفرنجة ، فأجتمع على أثر ذلك مجلس النبلاء وقرر أن يمنح يُبان لقد ملك وأن يرسمه القديس يونيفاس ، لهذا المنصب وأصبح ملكا جديدا للفرنجة ، وهكذا قدر لبيان الملك الجديد أن يصنع سياسة العلاقات العربية الفرنجية وذلك لمجابهة المد الإسلامى الذي بلغ مداه فى مطلع القرن الثامن الميلادى . وإذا كان بيان بعد موته عام ٧١٤م قد ترك فراغا فى السلطة بسبب اختيار حفيده لوراثة الملك لاسيما أن «بسيين» استمر يحكم البلاد مدة تقرب من سبعة وعشرين عاما (٦٨٨-٧١٤م) ثم خلفه أبنه غير الشرعى الذي عرف فيما بعد باسم شارل مارتل أو المطرقة Martel بعد صراع مرير وحروب أهلية استمرت سنوات فى بداية عهده لكنه تمكن من حسم الأزمة لمصلحته وأصبح الرجل القوي فى مملكة الفرنجة حيث صارت له السلطة المطلقة على كل ولاياتها بعد أن أخضع اوستراليا وتستريا خضوع تاما . وقد كان توليه السلطة نقطة تحول خطيرة فى الحروب المقدسة التي خاضتها أوروبا ضد اعدائها المسلمين واستمد جانب كبير من شهرة شارل مارتل إلى ماحققه من نجاح تجاه المسلمين فى جنوب المملكة الفرنجية . اضافة إلى أنه أعاد حدود المملكة الفرنجية إلى ماكانت عليه قديما واهتم بنشر المسيحية بين قبائل المانيا الوثنية ونشر القانون وضرب بيد من حديد على كل محاولات الفتنة الداخلية

ورتب الأمور في الاقاليم الجنوبية لاسيما في برجنديا ، وأخضع دوق اكويتين ووجه شارل مارتل جانبا هاما من جهوده لجنوب المملكة المجاورة للأندلس .

وهكذا فإن مجيء شارل إلى السلطة في تلك الظروف كان حدثا غير عادي في تاريخ العلاقات بين اسبانيا الإسلامية وبين الدولة الفرنجية وفي ذلك الوقت كانت قرطبة عاصمة الأمويين ماضية في بناء عظمته ورقيها كأحد عواصم الدنيا الهامة في ذلك الوقت وأيضا قد تجاوزت الدولتان دولة الفرنجة الكارولنجين ودولة الأمويين الأندلسية على جانبي جبال البرية (البرانس) بما كانت تمثله كل منهما من زعامة سياسية وعسكرية ودينية وما كانت تنفذه كل منها بمسؤولياتهما تجاه شعبها وأمنها وقيمها الدينية والروحية وكان لابد من حدوث احتكاك بينها وسواء جرى ذلك الاحتكاك عنيفا واتخذ اسلوب الصراع الدموي أو جرى في اطار سلمي دبلوماسي أو اطار حضاري وفكري أو اطار اقتصادي مادي وبعبارة أخرى كان لابد أن يحدث احتكاك بين الدولتين وتجرى صلات بينهما بحكم تجاوزهما من ناحية واختلاف قيمهما الدينية والسياسية من ناحية أخرى ولهذا جرى الصراع بينهما رهيبا وعنيفا تمثل في صورة معركة بلاط الشهداء . ذلك لأنه لولا وجود شارل على رأس السلطة لما كان من المستطاع مجيء بيبيان وابنه شارل . ذلك لأن عرب الأندلس لم توقف مسيرتهم قرارات الخلافة فضلا عن الطموح الإسلامي الكبير في اجتياز ذلك الحاجز الجبلي ذي الممرات الضيقة والتوغل في الأراضي الكبيرة Grande Lerre كان هو الهدف الأسمى حاملين قرآنهم ومقدمين عقيدتهم الإسلامية إلى تلك الشعوب الوثنية التي لم تكن قد تعمقت لديها العقيدة المسيحية لاسيما أن الغارة الإسلامية القوية والعنيفة التي قام بها عنبسة بن سحيم الكلبي في نواحي فرنسا كلها واستيلاؤه على أقليم بورجونيا ، الذي هو جزء من امبراطورية الفرنجة قد ألقى الرعب في معظم الدوقيات الجنوبية والوسطى وشعرت امبراطورية الفرنجة أنها أمام خطر داهم لابد من أن يكتسح امبراطورية الفرنجة كلها وبدأ واضحا أن الحملة القادمة ستكون حملة حاسمة في تقرير مصير الأمبراطورية المتراصة الأطراف وهو أن المسلمين لابد لهم من أن يواصلوا فتح باقي أنحاء

امبراطورية الفرنجة ومواصلة الزحف نحو الشمال وهكذا كانت هذه الانتصارات الإسلامية العظيمة والزحف السريع والقوي لعنبره الكلبي سببا في أن يتحالف أبناء الشمال الأوروبي تحت قيادة شارل مارتل وأن يتناسى الدوق اودو دوق اكويتانيه عداءة القديم لشارل مارتل وأبيه الملك بتان وبدأ يعملان سويا بمناصرة بعضالجوش الأوربية الأخرى لوقف المد الإسلامي الزاحف من الجنوب لإحتواء هذه الأقاليم في دولة الإسلام الكبرى وذلك بكل ماوصلت إليه أيديهما من وسائل الحرب وأسلحة مختلفة .

ولقد كان ظهور شارل مارتل كرجل قوي في مملكة الفرنجة خلفا لأبيه غير الشرعي يسيان في نفس العام الذي تحرك فيه السمع بن مالك الخولاني (١٠٠ / ٧٢٠م) .

وقد شهدت الجبهة الأندلسية الداخلية فترة من عدم الاستقرار السياسي ذلك لأن السياسة الداخلية لم تكن لتأخذ الطابع الإسلامي السليم ، ووقف تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء حيث تغلبت العصبية القبلية العنيفة على تصرف هؤلاء الحكام تغلبت حيث صارت العلاقات بين الولاة العرب تشهد بعض الصراعات وكان عرب الأندلس ينتهزون الفرصة بين الحين والآخر لإقامة واحد منهم واليا عربي على الأندلس لكن فترة الولاية لم تكن تتجاوز إلا شهور قلائل ثم تعود الأمور إلى طبيعتها عندما ترسل الخلافة الأموية في دمشق «الحكومة المركزية» بتولييه والى جديد من قلبها .

لكن قادة الجيش وأهل الرأي والحل والعقد وأعيان البلاد في الأندلس استطاعوا هذه المرة أن يفرضوا لأول مرة فيما اختاروة واليا على الأندلس على الخلافة الأموية وأن تفرض الاختيار لأن هذا الاسم لم يكن غريبا أو غير مسموعا لدى رجال الخلافة في دمشق ، ذلك هو عبد الرحمن الغافقي الذي استطاع في السابق تغيير مجريات الأحداث وفي عام ٧٢٠م أن يتفادي الاحتلال العسكري بين القوتين المتصارعتين خلف جبال البرانس (المسلمون والفرنجة) وأن يعيد تنظيم الانسحاب وانقاذ البقية الباقية من الجيش الذي فقد قائده هوالتراجع بهم إلى ناربونه

ومنها إلى الأندلس ومن هنا تردد اسمه بعد استشهاد السمح ولم يمكث في الولاية إلا شهرا واحدا لكن لم يمضي زمن طويل حتى يكون هذا الاسم أكثر الأسماء شهرة في تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي وأن يرتبط اسمه بأشهر معركة في التاريخ الإسلامي ، كان لها أثر كبير في حركة المد الإسلامي في القارة الأوروبية سلبيا وتأثيرا لسنوات قادمة .

الفصل الخامس

عبد الرحمن الغافقي
ومعركة بلاط الشهداء

عبد الرحمن الغافقي ومعركة بلاط الشهداء

(صفر ١١٢ رمضان ١١٤ هـ / أبريل ٧٣٠ - أكتوبر ٧٣٢ م)

كان ظهور عبد الرحمن الغافقي على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في الأندلس له دور بارز في ميدان الغزو والفتح من أجل مد رؤية الإسلام في الأراضي الأوروبية ذلك القائد هو صاحب معركة بلاط الشهداء «بواتيه» وكان عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي ينسب إلى قبيلة غافق اليمنية قد جاء إلى الإمارة (١١٢هـ / ٧٣٠م) بعد أن كانت التيارات القبلية قد أبعدته نحو عشر سنوات عن المنصب الذي كان أكثر الولاء تأهيلا لحمل مسؤولياته والغافقي طراز آخر من القادة المسلمين تصفه الروايات بأنه على درجة عالية من الشجاعة والكنفأة العسكرية . فقد كان عبد الرحمن الغافقي من كبار جند الأندلس ومن أولئك الذين قضوا معظم أيامهم في الجهاد في أراضي فرنسا وقد سبق له أن تولى أمر الأندلس عام ١٠٢هـ / ٧٢١م فلما عادت إليه الولاية للمرة الثانية في شهر صفر ١١٢هـ أبريل ٧٣٠م أي بعد عشر سنوات من الولاية الأولى فلم يكن له هدف إلا جمع القوات الإسلامية وإعداد العدة للغزو والفتح في الأراضي الكبيرة .

وكان من حسن الحظ أن الولاية وقيادة الفتوح قد صارت إليه فقد استطاع بحزمه وروحه العسكرية أن يضبط جنوده ويعيدهم إلى النظام من جديد حقا أنه لم يستطع استعادة الخارجين إلى صفوفه ولكن على أية حال أوقف تيار تدهور الفتوح إلى غارات ولو أن عبد الرحمن الغافقي كان أقل عنفا عما كان عليه في الواقع لاستطاع أن يصل إلى نتائج أحسن ولكنه كان جنديا عنيفا بالغ الحماس لا يلتفت إلى سياسة أو كياسة مما قلل فرص النصر الكبير أمامه كما أنه كان من أبرز القادة الذين شهدتهم بلاد الأندلس لكنه لا جدال في أن المتتبع لحياة هذا القائد رغم ضآلة المعلومات لا بد أن تستهويه تلك الشخصية المتصوفة في الجهاد والمترفة عن الحساسيات الذاتية فمنذ أن سطع نجمه بعد انسحابه بفلول الجيش الإسلامي في عهد السمع بن مالك الخولاني حيث كان نائبا له في القيادة لم نسمع ما يحدث تلك الصورة المثالية التي اتصف بها ، ووضعت له معركة بلاط الشهداء (بواتيه

.....
(Potiers) لمساتها الأخيرة لكي يكون استشهاده مفخرة كل الأجيال الإسلامية عبر
تاريخها الطويل .

وكانت ولايته سستان وثمانية أشهر حيث استشهد في رمضان ١١٤هـ/ أكتوبر
٧٣٢م . وكانت ولايته من أهم فترات عصر السلولاه ، ولقد كان مشهود آله بحسن
السيرة وبالحنكة والدراية بأمر القتال والادارة وأنه لولا هذه الصفات لما ولالة
الجنود على أنفسهم في هذه الظروف الصعبة وكان امنيا عادلا نزيها فاستطاع
بلياقته أن يسيطر على العناصر المتنازعة داخل البلاد .

وكانت ولايته الثانية على الأندلس من قبل والي المغرب ، عبيدة بن عبد
الرحمن السلمي) ، وكان الغافقي بلا شك طراز آخر في قائمة الولاة المسلمين في
الأندلس فهو الرجل الوحيد الذي بدأ قادرا حينذاك على تجميد الصراعات الحزبية
والإنقسامات القبلية وتعبئة كل الأطراف في خدمة الدولة وكانت حملة عنيسة
الكلبي قد أثارت مخاوف كل بلاد غرب أوروبا والبابوية فقد اقتحمها المسلمون
اقتحاما وأوغلوا في داخل بلادها دون أن يستطيع أحد مقاومتهم ولقد شعر القائم
بأمر مملكة الفرنجة إذ ذاك وهو شارل مارتل أو (كارل) بأنه لابد أن يقوم بعمل
حاسم إذ عاد المسلمون مرة أخرى ، وبالفعل بدأ يستعد لهذا اللقاء فأخذ يجمع
القوات والسلاح والزاد والمؤن وصالح امراء غنديه وأتفق مع حكام (بستمانيه
ومع الدوق اودو للقيام بعمل مشترك لوقف تقدم المسلمين نهائيا في هذه الأراضي
لاسيما أن دوق اكتابه قد استنجد بالفرنجة أولا وكان شارل مارتل قد رأى أن فتح
المسلمين لدوقيه اكتيابهته يهدد كيان الفرنجة إذ أن المسلمين دون شك سيتابعون
فتوحاتهم حتى يقضوا على دولته وبذلك توحدت كل القوي الأوروبية جميعها
لوقف رحف المسلمين وبذل شارل مارتل جهدا كبيرا في جمع الآلاف من الجنود
الأقوياء للقاء المسلمين في معركة حاسمه يكون المنتصر فيها وعلى الجانب الآخر
فإن الغافقي حسب المؤثرات تلك كان في انتظار هذه المناسبة بصبر وشوق وكان
متشوقا لتكون فرنسا المحطة الثانية للمسلمين في أوروبا بعد الأندلس ، ولكن جهاز
حملته كما فعل سلفه عنيسه وكان لابد من تجهيز حملته ضخمة أكثر نظاما وترتيا

واستعداد ليتفتح هذه البوارج وقف برنامج مرسوم وخطه ذكبه ولقد دلت على ذلك الاستعدادات السريعة لكثافة الجند في حملته الضخمة التي نادر إلى تشكيلها ومن ذلك فإن الجيش الإسلامي كان يزخر بالحماسة والإيمان كثير العدد وافر السلاح لكن من سوء حظ الغافقي أنه وقع شقاق في صفوف المسلمين المقيمين في الثغر الأعلى للأندلس أي حوض الأبرو وكان له أثر سيء على سير الفتوح فيما بعد فإن الدوق اودو كان قد حالف المسلمين، بل صاهرا قائدا بربريا من قوادهم يسمى «مونوسه» كان مركزه في الناحية الغربية من جبال البرت ولم يرضى المسلمون عن هذه المصاهرة لأن مونوسه بدأ يحالف ويتقرب إلى صهره أودو «اوديس ورجال اقطانيه وانتهى الأمر في النهاية إلى انفصاليه عن المسلمين بمن معه من الرجال وتذهب الروايات إلى أن عبد الرحمن الغافقي الذي كان يحكم أرجونة وينظم أعمال الجهاد اختلف مع (مونوسه اختلفا شديداً وكان الغافقي رجلا عنيفا بالغ الاستقامة من طراز عقبة بن نافع ، فاشتد مع مونوسه زعيم البربر فزاده نفورا وانضمت اليه بعد ذلك جماعات من البربر وحدث انقسام في المعسكر الإسلامي وكان الإعداد العسكري له الأولوية في خطته عندما آلت إليه الأمور ففي أقل من عام استطاع القيام بمنجزات تتطلب أعواما طويلة وكان تجرده من الطابع القبلي من أهم الأسباب التي حققت له النجاح في هذه الفترة في قيادة البلاد ، فقد فرض على الجميع الالتزام والطاعة لاسيما أنه قد اجتمعت له صفات في شخصيته ومقدرة المسؤول المنظم الذي له من قوة الشخصية والموهبة القيادية وحب الجميع له ما فرض به ذاته وأدرك أبعاد المد الإسلامي الذي كان يهدف إلى إتمام فتح كل فرنسا ولما كان عبد الرحمن الغافقي يضع في خطته أنه لابد من العودة إلى المناطق التي انسحب منها بقواته بعد مقتل السمح بن مالك الخولاني وكذلك فإنه شهد مقتل عنبسه بن سحيم الكلبي قبل عودته إلى الأندلس حيث تكالبت عليه عناصر وقلول الفرلحية والقوط قبل عبوره معاير البرانس فكان كل هذا يعجل في خاطره وكان عليه أن يعد للأمر عدته ومن ثم كان عليه القيام بأعمال الإصلاح الداخلي في الأندلس وتقوية الجبهة الداخلية وتوحيدها استعدادا للإنطلاق في الغزو وعمل على نشر العدل ورفع الظلم وعامل أهل البلاد

المعساري معاملة حسنة . وقدزار في بداية حكمه المدن والأقاليم ليحل بنفسه الخلافات والمنازعات وجعل ينظر في الشكايات التي ترفع إليه بنفسه وعزل القضاة الذين يثبت له عدم حكمهم بالعدل بين الرعية وحكام الولايات والمدن الذين اخلوا بوظائفهم وعين حكاما بدلا منهم وقضى على كل ثورة وأحمد ناراها في مهداها وعمل على نشر الإسلام في بلاد (فرنسا) من ناحية أخرى لاسيما أنه قضى أيامه عاملا في جيوش الإسلام الغازية فيما وراء البرانس وشهد كل الحملات الإسلامية التي اخترقت المعابر تفتح فرنسا وكان يمتاز بشجاعة نادرة ومقدرة عظيمة على خوض المعارك والحروب وكان من النوع الذي تستهويه الغارات البعيدة المدى والضربات المدوية وكان من طراز الفاتحين الذين يرسمون خطط الفتح الثابت المستقر فيعمدون إلى مراكز المقاومة ويهاجمونها لكي يتم الفتح وتدخل البلاد في حوزة الإسلام .

وسجله الحربي العسكري يشهد له أنه قد ابلى بلاء حسنا في موقعه طولوشه التي استشهد فيها السح بن مالك الخولاني وكانت هذه المعركة قد تركت في نفسيته أثر عميقا لاسيما أنه قاد القوات المنسحبة بعد مقتل السح وعاد بها إلى الأندلس .

ومن هنا فقد كان تواقا لملاقاه الفرنجة . ومن ثم فقد أعلن عبد الرحمن الجهاد في سبيل الله ضد الفرنجة والتصميم علي فتح بلاد الفرنجة كلها لكي تصبح ولاية اسلامية تجاور الأندلس شمالا .

خرج عبد الرحمن الغافقي بحملته الكبيرة في اوائل عام ١١٤هـ / ٧٣٢م وكان معه سبعين ألف جندي تقريبا معظمهم من البربر في حين أن الروايات الأوروبية تذكر أن قوات المسلمين التي قاتلت في معركة بواتيه كانت أربعمئة ألف مقاتل (٤٠٠ ألف) وكان ان عبر ممر الرونسفال Roncesvalles في جبال البرنيه . وان شارل مارتل قد أحس عن طريق الجواسيس والمعلومات التي قدمت له عن هذه الحشود فحشد له جيشا أكبر واستعد له لاسيما أنه ادرك أنه بهذه الحشود القوية

الكبيرة العدد لابد أنها قادرة على اكتساح امبراطورية الفرنجة كلها وبدأ واضحا أن هذه الحملة الإسلامية ستكون حاسمه في تقرير مصير بلاده المترامية الأطراف وهي أن المسلمين لابد لهم أن يواصلوا فتح باقي أنحاء الامبراطورية ومواصلة الزحف نحو الشمال تحقيقا لهدفهم الأعلى في فتح كل أوروبا وبدأت القوات الأوروبية تتوحد لوقف المد الإسلامي القوي الذي اكتسح اسبانيا في فترة زمنية وجيزة وهي أن يزحف من الجنوب إلى فرنسا للسيطرة عليها بقيادة قائد كانت القيادة الأوروبية تعلم من هو الغافقي وما هو دوره في المعارك السابقة ولقد كان تحرك الغافقي شمالا يهدف أولا إلى تحطيم قوة اكتانيه واخضاع اودوا اوديس ، وأن الغافقي صعد مباشرة نحو هذا الاقليم مهملًا الطريق التقليدي إلى بستماتيه حيث سار القواد السابقين ومن اخطاء عبد الرحمن الغافقي أنه لم يحاول أن يكسب صداقة الدوق اودو بل أنه لم يعمل على ايقافه على الحياض واتى عبر جبال البرت في ١١٤هـ / صيف عام ٧٣٢م في الممرات راسا إلى قلب بلاد اودو فاضطر هذا إلى طلب العون من رجال الفرنجة لاسيما أن عبد الرحمن كان سبق له قتل مونوس ، وهو عثمان بن نعسه الخشعمي واطلقت عليه المصادر الأوروبية «مونوس» وكان هذا يرتبط بالدوق اودو بمصاهرة ومعاهدة صداقة وكان قتل مونوس ، قد اشعر اودو بالخطر وحمس شارل مارتل والدول الأوروبية الشمالية على الأخذ بأهبة الاستعداد وتجميع الجيوش لملاقاة المسلمين الزاحفين واستولي عبد الرحمن على مدينة ارل Aratum الواقعة على مصب نهر «ردونه» ثم دخلت جيوشه طلوشه «تولوز» وبردال Bordau أكبر مدن الأقاليم وبعد القضاء على المقاومة في هذه المدن أخذت المدن تتساقط أمامه بسرعة مذهلة في مقاطعة اكيناتيه ، وكان قد ارتد شرقا للقضاء على ثورة حدثت في مدينة ارل واستطاع القضاء عليها . ثم أتخذ طريقه إلى مدينة Tours حيث دير سان مارتان St.Martin الشهير وهناك على ضفاف نهر دوردني Dordogne إحدى روافد نهر الجارو Garonne جرت معركة عنيفة بين الغافقي والدوق اودو دوق اكيناتيه هزم فيها الأخير وتحطم جيشه شر تحطيم ولكن الدوق تمكن من الإنسحاب بنفسه والانسحاب إلى الشمال طالبا المساعدة والعون والاحتماء بشارل مارتل بعد أن كان المسلمون قد دخلوا بودو

واحتلوها وتقدم عبد الرحمن ودخل بواتيه بعد صراع طويل وعتيق وشرع يسعد للسير شمالا نحو باريس ، وكان الغافقي يتقدم سريعا نحو الشمال ويتابع انتصاراته حيث ذكرت جميع المصادر الأوروبية والعربية أنه دخل مدينة بوانييه Poitiers واستولى عليها . وتوجهوا إلى مدينة تور Tours على نهر اللوار واستطاعوا الاستيلاء عليها وبعد ذلك رأت قوات الفرنجة بما وصل إليها من امدادات عسكرية من جهات أوروبية مختلفة وعجل شارل مارتل فحشد كل ما استطاع من قوة للقاء المسلمين لاسيما أن كلا الطرفين كان يشعر بأهمية المعركة التي ستقرر مصير كل من القوتين وعلى الجانب الإسلامي انتشرت قوات الجهاد بقيادة الغافقي في السهل الخصب الممتد بين مدينة بواتيه وبين مدينة تور على الضفة اليسرى لنهر اللوار Loire ودارت المعركة الحاسمة في مكان يقع إلى شمال بواتيه في اتجاه تور Tours في مكان يسميه العرب والمسلمين (بلاط الشهداء واستمرت المناوشات عدة أيام تصل إلى ثمانية أيام قبل أن يستشهد القائد البطل عبد الرحمن الغافقي وكان لهذه المدينة شهرة بالغة ويبلغ المد الإسلامي نقطة بعيدة في أضخم حملة عبرت جبال البرت وحققت هذه الانتصارات الساطعة السابقة الإشارة إليها والتي استغرقت اشهر قليلة لم تكن في مصلحة سياسة التوسع في أوروبا فالسيادة الإسلامية قدرلها أن تقف عند مدينة تور في أقصى امتداد منظم إلى عمق فرنسا حيث كان الجيش الإسلامي كبير ولكنه لا بالكثيرة التي يصفه بها المؤرخون الأوروبيين وقد قدر للطموح الإسلامي في اجتياح القارة الأوروبية أن ينتهى عند هذا الحد ذلك أن اودو كان قد وضع الفرنجة وأوروبا أمام الكارثة المرتقبة التي تتشهد وجودهم إذ لم يبادر شارل في التصدي للزحف الإسلامي بقيادة الغافقي وكان من حسن حظ أوروبا وبلاد الفرنجة أن يكون شارل على رأس السلطة الفعلية في هذه الدولة وعلى رياسه البلاط وحده في هذه المملكة بعد أن تخطى كل العقبات في البداية ، وما لبث أن سوى الأمور مع الكنيسة وبدأ يستعد للخطر الخارجي القادم من المسلمين حيث كان على جانب كبير من الشجاعة والثقة بالنفس حتي أنه عندما قدم إليه «اودو» لم يكن هناك ما يحمله على التردد أو تجاهل الخطر الذي داهم أبواب دولته وهكذا بادر شارل إلى القيام بعملية التصدي التي وضعت

فيها أوروبا كل آمالها فحشد أقصى ماعنده من طاقات وكان جيشه الضخم تظهر عليه بوضوح الملامح الصليبية بعناصرها التي لم تقتصر على الفرنجة وحدهم بل تعدتهم إلى شعوب أوروبية أخرى وهي البلغار واللمان والإيطاليين ومآحولهم من شعوب الشمال وقد أطلق المسلمون اسم الفرنجة أو الفرنج على جموع الصليبيين الذين وفدوا من غرب أوروبا سسواء من فرنسا أو إنجلترا أو المانيا أو إيطاليا دون تحديد لأصل عنصري وربما كان السبب في ذلك غلبة الفرنجي على الموجه الصليبية ولقد عرف المسلمون المعاصرون تعبير فرنسا ومن المحتمل أنهم استعملوها للدلالة على الجانب الأكبر من املاك الفرنجة وليس كل تلك الاملاك في حين قصد بالامبراطورية الفرنجية تلك الأقاليم التي تحدها جنوبا جبال البرنيه أو البرت والتي سماها المسلمون أو سمو الجزء الأكبر باسم الأرض الكبيرة The vast land ومن هنا فإن الحشد الأوروبي الذي شهدته ساحة معركة بلاط الشهداء كان يشكل موجات صليبية من هذه الأجناس الأوروبية .

وتحركت هذه القوة الأوروبية الهائلة نحو نهر اللوار (Loire) حيث بلغت أنباء الحشود الإسلامية هناك :

وينبغي قبل الدخول إلى تفاصيل الأحداث القادمة بين المسلمين وقوات أوروبا أن تلاحظ أن الجيش الإسلامي الذي استطاع أن يستولي على كل مقاطعة اكتانيه وان يسيطر على معظم الأراضي الفرنسية في بضعة شهور قليلة ورغم شجاعته وارتفاع روحه المعنوية وتحديد الهدف الإسلامي الذي يقاتل من أجله وهو نشر لواء الإسلام . كان قد يعد كثيرا جدا في تحركه شمالا عن قاعدة بلاد المسلمين حيث أصبح على بعد أربعمئة كيلو متر (٤٠٠ كيلو متر شمال جبال البرت وجبال البرت تبعد تسعمائة كيلو متر «٩٠٠ كيلو متر» عن القاعدة العاصمة قرطبه فتكون المسافة بينه وبين خط الامداد ١٣٠٠ كيلو متر وهذه مسافة كبيرة جدا تجعل طريقة امداد الجيش بالمؤن والرجال والأسلحة والزاد امرا عسيرا لاسيما أن معابر البرت كانت صعبة الاختيار . ولو أن المدد والعهده وصلت إلى الغافقي حين طلبها لم تكن تصل إليه في أقل من شهر نظرا لصعوبة الطريق في حين أن شارل كان

يحارب في بلاده وخطوط امداده متصله وأرض المعركة نفسها خط امداد له حيث أنه بين مواطنيه وشعبه الذي التف حوله دفعا لنور القرآن والإسلام المندفع من الجنوب كما أننا نعتزف صراحة أن غالبية الجيش الإسلامي كانت من البربر ولم تكن العلاقة بينهم وبين العرب ودية لاسيما أن القائد الغافقي قد أمر بقتل "مونوسة" عثمان بن أبي نعسه الخشعمي كما أن الغافقي لم يعمل على علاج الأمر بسرعة ليقرب إليه مجموعة من البربر المشهورين ليكونوا مساعدين أو مستشارين له في العمليات العسكرية مباشرة ، كما أن عوامل البيئة الجغرافية والمناخية والبيئية لم تكن تساعد على تحرك القوات التي لم تستعود على القتال في ظل الثلوج والمطر المنهمر والبرد القارس ، كما أن منطقة حوض نهر اللوار كانت منطقة غابات كثيفة والفارس العربي المسلم لم يكن يحسن ويجيد القتال في نطاق الغابات لكن أسلوب الكر والفر الذي كان يستخدمه العرب والمسلمين لم يكن يصلح في مناطق الغابات والأحراش العالية ، ثم أن طول المسافة وعدم اعطاء الراحة الكافية للدواب والخيول ولاسيما أنه كانت قد خرجت لتوها من معركة الجارو Garonne مع اودو كل ذلك كان له أثر مباشر في الروح العربية الإسلامية لاسيما أن الخيول العربية كانت تعمل في الجو الدافئ الجاف أكثر من جو البرد والأمطار ، إضافة إلى أن عبد الرحمن الغافقي كانت تنقصه القدرة على وضع خطة قتالية محكمة ولم يكن لديه جهاز مخابرات واستطلاع يمكنه من اكتشاف مواقع العدو حيث أنه واصل السير حتى لقيه الفرنجة مباشرة وجها لوجه وكان الأخرى أن تكون هناك قوات استطلاع تقوم بدورها . وماكان من الغافقي إلا أن تراجع إلى سهول بواتيه لاتخاذ مواقعه فيها بعد أن وصلته معلومات عن كثافة الجيش الفرنجي إلا أن تحركات شارل كانت سريعة رغم ضخامة قواته ومالبث شارل أن دفع بعد الرحمن وقواته جنوبا ليدرك مقدمه الجيش الإسلامي الزاحف عن طريق روماني يؤدي إلى بلده شاتلدوا Chatellerault الواقعة على نحو عشرة كيلو متر من مدينة بواتيه poitiers .

وكان جنود الإسلام جنود المعسكر الإيماني في حالة معنوية عالية لا ينقصهم الإيمان وكيف وقد خرجوا من الأندلس يريدون النصر أو الشهادة وكانت غالبية الجند لديها خبرة بالقتال في مسالكه وطرقه وعرفوا طريقة قتال العدو الأوروبي مع عنبسه الكلبي وقبله مع السمع بن مالك الخولاني وقد اشتبكوا معه مرتين والثالثة مع اودو ولكن تلك المنطقة الواقعة بين مدينتي تور Tours وبواتيه Poitiers كانت جديدة عليهم ووضعته الظروف بها نظرا لقدمهم أكثر شمالا وتقدم قوات شارل بسرعة سريعا للجنوب وكانت على بعد مائتي كيلو متر من باريس وظهر جيش أوروبا كتلة واحدة متماسكا لشعوره بالخطر على المصير حيث كفاءة القيادة متمثلة في شخص شارل مارتل وضخامة عدد القوات التي جهزت له أوروبا منذ وقت طويله استعدادا لصد الهجوم الإسلامي وكان الجند الإسلامي يعتمد على أسلوب الهجمات الخاطفه والسريعة والهجوم المباغت وكانت القوات في مستوى تدريب جيد ولديها طاقات قتاليه عاليه ومسلحه بروح الإيمان ونور القرآن وكانت عوامل الانتصار في صالحها فهناك القيادة الفذه الشجاعة الخبيرة التي لديها طاقة ايمانية وأدراك لتحمل المسئولية القتالية والجند المدرب الذي خبر القتال واحترافه والعوامل النفسية المشجعة التي ولدتها موجة الانتصارات الباهرة منذ عبوره جبال البرت وصولا إلى اكتيانية ومنطقة اللوار الواسعة لكن خط الامداد الطويل ١٣٠٠ (ألف وثلاثمائة) كيلو متر كما سبق القول كان يشكل نقطة الضعف الرئيسية على هذه القوات اضافة إلى أنه لم يكن لدى المسلمين رصيد اضافي من القوات يمكن الدفع به عند الطلب حيث أن الغافقي حشد كل قواته إن لم يكن كل قواته في حملته إلى اكتيانية اضافة إلى أنه كان يترك بعض الحاميات في كل مدينة أو حصن يتم فتحه مما قلل كثيرا من حجم القوات العسكرية في الموضع المشار إليه بين تور Tours وبواتيه Poitiers جنوب باريس بمائتي كيلو متر ومن هنا كانت الأحداث المأساوية التي سوف نتعرض لها في الفصل القادم عن سير أحداث المعركة وماحدث فيها وماهي الأسباب الأساسية في حدوث تلك الهزيمة التي حلت بجند الإسلام على هذا البعد القريب من عاصمة الفرنجة وماهي العوامل التي حالت دون الانطلاق بخطة متكاملة تحقق الفور الذي كانت تسعى إليه القيادة العسكرية الإسلامية ممثلة في شخص القائد عبد الرحمن الغافقي وكبار رجاله ومستشاريه .

الفصل السادس

أحداث بلاط الشهداء

بواتيه *poitiers*



١ - الحملات الاولى بعد ٧١٤

٢ - حملة السماح الحولاني ٧٢١

٣ - حملة عنه الكلبي ٧٢٥

٤ - حملة عبد الرحمن الفاففي ٧٣٢

الحملات الإسلامية في فرنسا (معركة بلاط الشهداء)

أحداث بلاط الشهداء (بواتيه Poitiers)

لا تمدنا المصادر الأندلسية بمعلومات واضحة او تفصيلات شافية عن هذه الموقعة ولا تلقى عليها غير ضوء خافت ولم تحدد لنا موقع الميدان الذي دارت فيه أحداث معركة بلاط الشهداء بدقة فمراجعتنا الأندلسية والإسلامية عموما لم تفصح عن ذلك لكنها ذكرت أن المعركة دارت في بلاد الفرنجة وسمت الموضع بلاط الشهداء، ويذكر أن الغافقي استشهد في موضع يقع بين مدينتي تور (Tours) وبواتيه (Poitiers) على بعد ٢٠٠ كيلو متر جنوب باريس وقد كان اللقاء على بعد ٢٠ كيلومتر شمال (بواتيه) في الطريق إلى تور وجنوبي مجرى اللوار في موضع قريب من طريق روماني قديم هو المسمى بالبلاط وفي هذا الموضع قريه تسمى الآن مواسية لاباتاي Moissias La Batille وربما كان موقعها يحدد مكان المعركة.

وقد دارت المعركة بالقتال الشرس أكثر من أسبوع طوال عشرة أيام مما يدل على إنها كانت معركة حامية الوطيس والحق أن كلا الجانبين بذل أقصى ما في وسعه في القتال وصبر المسلمون صبرا طويلا حتى تجمعت عليهم القوات الأوربية من كل ناحية فلم يقتصر الأمر على الفرنجة بل كان هناك كثيرون من أجناس جرمانية أخرى ، وآخر مراحل المعركة كان هجوما على المؤخرة للجيش الإسلامي وصولا إلى القلب فتزعزع نظام الجيش وحدثت ثغرات استطاع الأعداء النفاذ منها إلى القلب وفي ذلك الوقت استشهد القائد عبد الرحمن الغافقي بسهم أصابه بمقتل وقد كان هذا نذير الهزيمة لوفاة القائد وذلك بعد أن تحركت بعض القوات الإسلامية تجاه المؤخرة لمحاولة صد الهجوم الخلفي لاسيما أن الدوق أودو حاكم كونتيانه الذي هزمه المسلمون كان الساعد الأيمن لشارل مارتل قد قاتل المسلمين مرارا وعرف نقط الضعف لديهم وأراد أن يعمل على استغلالها مكان الهجوم على المؤخرة وحدث خلل في تنظيم القوات الأمر الذي استدعى سحب بعض القوات من المقدمة والميسرة لصد الثغرة التي أحدثتها قوات الفرنجة لكن تقدم الفرنجة كان أسرع نظرا لوصولهم إلى قلب المعركة حيث المكان الذي كان يقود منه عبدالرحمن الغافقي قواته المتقدمة وأصيب القائد الشهيد بسهم قاتل وأحدث وفاته ارتباكاً

شديدا بين القوات عندما علمت نبأ استشهاده وكان الأخرى على هيئة قيادة القوات وكبار المستشارين أن يكتموا خبر استشهاده عن جنوده حتى ينجلي الموقف لمصير المعركة لكن خلافا حدث بين هيئة القيادة وكبار القواد وكان قرار الانسحاب لوفاء القائد وقد استمر القتال مع ذلك حتى هبط الليل فتحاجز الفريقان وانتهزت فلول المسلمين الفرصة فتسللت من مكان المعركة تحت الظلام فلما أصبح الفرنجة لم يجدوا للمسلمين أثر ولكنهم وجدوا ذخائر عظيمة فانتهبوها ولم يفكروا في تتبع المسلمين واستطاعت البقية الباقية من القوات الإسلامية الانسحاب إلى أرجونه .

وهناك بعض التعليقات التي تبين أسباب الهزيمة للقوت الإسلامية والتي منها القول أن الغافقي كان قد تجاوز مسافة بعيدة من مكان المعركة حيث عسكر في أراضى (بواتيه) بعيدا عن القاعدة قرطبة حيث لم تكن قادرة على إمدادة بالقوات فكيف للقواعد العسكرية الأخرى كالقيروان والفسطاط ودمشق ان تلبي حاجاته في هذا المجال أما نقطة الضعف التالية فكانت تكمن في عدم الانسجام بين عناصر المقاتلين حيث كانت تسود روح العصبية الحزبية فالمقاتلون من البربر افتقدوا ذلك الإندفاع المتماسك المتعاون الذي تجلّى في معارك الفتح في اسبانيا حيث كانت بذور النعمة على التسلط العربى تأخذ طريقها إلى نفوسهم وإن كان ذلك شعور غير علني ذلك لأن الغافقي استطاع بشخصيته القوية المتحررة من رواسب العصبية أن يستقطب هذا العدد الكبير من المقاتلين وأن يمتص حساسيتهم إلى حد كبير لكن كما تذكر بعض الأقوال فإن غالبية البربر لم يتحمسوا أكثر للمعركة وتطلّعوا إلى الانسحاب من ميدان المعركة اكتفاء بما وصلوا إليه من مد إسلامي في هذه الأراضى حماية للقوات من سلبات الصمود وخسارة كل شئ ولكن عبد الرحمن الغافقي لم يكن يدور فى خلده سوى الغزو وهو القائد المدرب الحبير بقتال هؤلاء القوم ولم تكن فكره الانسحاب فى معرض المناقشة مع هيئة أركانه ومستشاريه ومجلس الحرب الذى كان يضم كبار القواد لأن هذه الفكرة لم تكن تسمح لها بالظهور أو السماح لأحد من المستشارين أن يفكر فى ذلك وقد تكون هذه من بنات أفكار

المؤرخين الأوروبيين لأن معنى ذلك الإستهانة بكل الإنجازات التي تحققت في فرنسا شمال جبال البرانس والعودة إلى نقطة البدء ولو أن هذه الحملة كانت مجرد غزوه مثلها مثل ماسبتها من غزوات عنيسة الكلبى أو السماح بن مالك الخولانى لكانت فكره الإنسحاب راقى له وتخلّى عن تلك المدن والأقاليم التي سقطت فى يده ولكنه أثر أن يمضى فى المعركة حتى النهاية دون أن يفقد الإيمان بالانتصار وتثبيت رايات الإسلامى فى قلب فرنسا وهو الذى كان يطمع فى السيطرة على كل اراضى فرنسا وفى اواخر شعبان ١١٤ هـ اكتوبر ٧٣٢م . درات أحداث المعركة وحقق المسلمون انتصارات أوليه وكاد أن يكون الظفر النهائى لهم لولا خطأ فى عدم تغطيه المؤخرة وكانت النتيجة سقوط القائد البطل بعد قتال عنيف وطويل دام عشرة أيام وقيل أكثر من أسبوع . وقد سميت هذه المعركة فى المصادر العربية باسم (بلاط الشهداء) حيث أن التسمية لها علاقة بالمكان الذى كان على الأرجح اطلال قصر قديم فكلمة بلاط هنا مرادفه للقصر وليس لاشتقاق آخر بمعنى الطريق المبلط او المرصوف ويحمل المكان حاليا اسم (موسى لاباتاي Movssais labataille) وكانت معركة البلاط فى غاية الأهمية حيث ظلت لها أصدا خاصة فى العلاقات بين المسلمين الأوربيين وحولها تمحور الصراع العسكرى العقائدى بين الطرفين خلال الأجيال القادمة .

ومن ذلك ما تشهده هذه الأيام فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وظهور نعمة بلاط الشهداء (بواتيه) وتخوف أوروبا من خطر الإسلام الأصولي (السلفي) الزاحف الذى بدأ يشكل قوة حقيقية فى البلاد العربية والإسلامية ولاسيما دول الشمال الأفريقي القريبة من جنوب أوروبا من هنا ارتفعت صيحات الأجيال المعاصرة (١٩٩٤) تطالب بتوحيد أوروبا لصدا (بواتيه) جديدة وكان شارل مارتل جديد فى صوره (هيلموت كول) رئيس وزراء المانيا الذى قال فى حديث له إن المسلمين الاصوليين إن امسكوا بزمام القيادة السياسية فى الجزائر وإذا قدر لهم وتملكوا صواريخ متوسطة المدى فإنهم سوف يهددون جنوب أوروبا (هذا هو شارل مارتل فأين عبد الرحمن الغافقي فى العصر الحديث)

وقدم المسلمون في هذه المعركة توضيحات غالية في سبيل مد راية الإسلام إلى تلك البقاع وان كانت لم تصل معلومات وافيه عن هذه المعركة فإن ذلك يعود في المقام الأول إلى فقد وضياح المؤلفات والمخطوطات الإسلامية في حركة الاسترداد الأسبانية التي عملت على التخلص من كل ما هو إسلامي ومن هنا ضاعت هذه المؤلفات الإسلامية التي تتحدث عن هذه المعركة.

لكن مايمكن استنتاجه عن هذه الاحداث ان عدد القوات الاوربيه والفرنجيه كان يفوق كثيرا الجيش الإسلامي ولاشك ان شارل مارتل قد استنجد بكل الدول والإمارات والأقاليم الأوروبية وأنه استعد استعداد كافيا واعد للأمر عدته وخطط له مبكرا وكان يراقب تحركات المسلمين المستمرة في الأراضي الكبيرة منذ سنوات.

هذا الى جانب العديد من العوامل الأخرى ومنها طبيعة الأرض والجو والقتال والدفاع عن ديارهم وغيرها من العوامل الأخرى التي كانت لاشك في صالح المعسكر الفرنجي لاسيما أن المعركة دارت في جو مطير وارض موحله وتلال وعرة حيث جرت معركة بلاط الشهداء. وإذا أعتبرت خساره المسلمين جسيمة في معركة بواتيه Poitiers بحيث انها قضت علي تصميمهم على اجتياح كل القاره الأوربيه وعدم اقتناعهم بما وصلت إليه أيديهم من مواقع على السفوح الشماليه لجبال البرنيه (البرانس) فكره خاطئه فان هناك محاولات غزو اخرى تتكلم عنها.

لقد تحدث كثيرا من المؤرخين والباحثين الأوروبيين عن مكان المعركة ولكنهم لم يتفقوا عن مكان التجديد فقد اجمع رنيو Reinad، كندی conde كوديرا Coderan ان المعركة دارت في المنطقه الواقعه بن مدينتي تور Tours على نهر اللوار Loire وبواتيه Poitiers على نهر Clan كلين وفروعه راقدين في Vienne والمسافة بين المدينتين حوالي ٩٠ كيلو متر لذلك تسمى المعركة في المصادر الاوربيه باسم إحدى المدينتين تور أو بواتيه فقد ذكر أنها بدأت عند مدينة تور كما ذكر أنه الميدان الذي اشتد فيه وطيس القتال قرب بواتيه ، وحيث أن المعركة استمرت مايقرب من عشرة أيام وأنه ربما حدث بعض التحرك في تغير المواقع خلال هذه الفترة كما ادعى أن تكون معركة تور أو بواتيه . كما ذكر أن ميدان المعركة كان قرب طريق روماني قديم

يصل بين بواتيه ومدينة Chatelleranit شاتلرو على نهر فيتتي فرع من اللوار وبينهما حوالي ٣٠ كيلو متر فى مكان يبعد حوالى ٢٠ كيلو شمال شرق بواتيه ويحتمل أن تكون الأحداث النهائية التي حسمت المعركة لصالح قوى أوربا قد دارت فى المكان المسمى حاليا (موسه لابتاي Moussaiss La Bataille وربما فى قرية خندق الملك Fosse la Roi وفى قرية واقعه بين مدينتي تور وبواتيه وقد اكتشفت فى تلك القرية حديثا حفريات نمت فى هذا المكان عن العديد من السيوف العربية التي ربما تكون من أثر المعركة فلعل موضع هذه القرية ضمن ميدان معركة بلاط الشهداء كما أن بعض المصادر تذكر أن أحداث هذه المعركة قد دارت فى رمضان ١١٤هـ أكتوبر/ نوفمبر ٧٣٢م وربما الإنسحاب والقتال والتقدم طوال عشرة أيام قبل أحداث المعركة تدور بين هذه المدن وقد تغنت المصادر الأوربية بهذا الانتصار وواعزت السبب بما يتلائم وفكر الإنسان الأوربي عن حركة المد الإسلامي وركزت على أن أسباب الهزيمة تعود إلى كثرة الغنائم وأن الحملة كانت مجرد غزو يستهدف اشباع شهوات الجند بالغنائم فقط وأن تلك الغنائم أثقلت الجيوش الإسلامية والتي كان يضعها فى المؤخرة وأن الدوق اودو دوق اكتانيه هو الذى دل جيش شارل مارتل على مكان الغنائم حيث كان الجيش الإسلامى مثقلا بالغنائم وأن من عادة العرب والمسلمين ان يحملوا غنائمهم معهم فيحتفظون بها في مؤخرة الجيش مع حامية قليلة العدد تقوم بالحراسة والحفظ وأن بودو أراد ان يشغل المسلمين من ناحية الغنائم لعل ذلك يخل نظامهم أثناء القتال ولذلك قام بحركة الالتفاف السريعة بمهاجمة مؤخرة الجيش الإسلامى حيث الغنائم وحدث ما قدره بودو فقد اختل نظام الجيش الإسلامى فتراجعت بعض القوات لانقاذ الغنائم بينما استمر القتال فى مقدمه (روايه مؤرخين اوربيين لجعل اسباب الفتح الغنائم والأسلاب) وأن جيش شارل مارتل التف من الخلف لكى يستولى على هذه الغنائم مما أحدث ارتباكاً وفوضى فى المعسكر الإسلامى حيث انصرف الجند للدفاع عن المكتسبات المادية وتركوا أمر الدفاع والقتال وحدثت حالة من الفوضى استطاع الفرنجة من خلالها أحداث عده ثغرات فى صفوف الجند الإسلامى ووصلوا إلى القلب حيث قتل الغافقي وتلك صورة معاكسه على الإطلاق للروح الإسلامية التي تتحرك لنشر الإسلام وسعيا

لإنقاذ أوروبا من ظلم النبلاء وتحكم رجال الإقطاع وسيطرة رجال الدين وصكوك
الغفران وتحكم الكنسية وسيادة الجهل والتخلف والبدائية وليس سعي وراء الغنائم
والأموال وفصة الغنائم في مؤخرة الجيش قصة وهمية لا تمت لروح الإسلام التي
تعمل في سبيل الجهاد وإعلاء شأن الإنسان وهدايه البشرية لاسيما أن الجو العام
للمعركة كان يشير لرجحان كفة المسلمين في بداية لكن عندما اشتد القتال
واستشهد الغافقي حيث كان الجيش الإسلامي مستمراً في القتال وقتل كثيراً من
الفرنجية وكانت الأيام الثلاثة الأولى في المعركة في صالح الجند الإسلامي لكنه من
بداية اليوم الرابع من القتال استشهد القائد مما هز من قدرة المقاتلين في الاستمرار
في دحر الفرنجية وتحول القتال لصالحهم بمجرد إعلان نبأ مقتل القائد وكان ذلك
السبب المباشر في انسحاب الجيش الإسلامي ولعل ترك الجيش الإسلامي لمعسكرة
كما هو بخيامه ومعداته جعلت الفرنجية عند انبلاج الفجر يشعرون أن الجيش
الإسلامي لا يزال في مواقفه لاسيما أن نار Fire المعسكر كانت لا تزال مشتعلة
والخيام منصوبة في مكانها وهذا يعكس قدره الجيش على الانسحاب المنظم
والمحكم والقدره الفائقة على التموية لاسيما بعد أن أستطاع حمل قتلاه وكان هذا
الانسحاب دليلاً على الانضباط وسرعة الحركة والقدرة على المناورة والتعظيم على
العدو بعدم معرفة ميعاد الانسحاب وكيفيه تحرك القوات الإسلامية في اتجاه إلى
الجنوب أو في أى الإتجاهات تحركت هذه القوات التي لا يمكن أن تكون أقل من
خمسين أو أربعين ألف جندي لأن عدد القتلى لم يصل إلى عشرة آلاف من
الجانب الإسلامي وإن كان عدد القتلى في الجانب الأوروبي أكثر بكثير لاسيما أن
الانتصار كان في البداية لصالح المسلمين لكن المعارك تقاس بما تكون عليه النتيجة
النهائية ولصالح أى من الأطراف المتصارعه لكن أوروبا هولت من شأن هذه المعركة
ورسمت حولها اساطير وقصص وروايات خياليه وبالغوا في القول بأن هذه المعركة
قد أوقفت الزحف الإسلامي للأبد ونهائياً عن أوروبا وأن المد الإسلامي قد توقف
عن الاستمرار والتقدم السريع داخل أراضي فرنسا وأن المسلمين لن يستطيعوا
التقدم شمالاً بعدما كان في بواتيه أو تور بل إنهم اعتبروا أن المعركة كانت حاجزاً

أنقذ أوربا لكن الصورة كانت بالعكس لان الزحف الإسلامى لو حقق أهدافه لتطورت أوربا وبكرت حركه النهضه الأوربية بعده بعدة قرون بدلا من القرن الخامس عشر وهكذا كما تصورا فإن نتائجها كانت منعطفًا تاريخيًا على قدر كبير من الأهمية فقد تم إنقاذ أوربا من خطر الإسلام على يد شارل مارتل (حسب التصور الأوروبي) فى مملكة الفرنجة والذي استحق عن جداره لقب المطرقة التي سحقته قوه العرب والمسلمين فى فرنسا وباعدت بينهم وبين التقدم خطوات مستقبلية فى هذه الأماكن مرة أخرى (أقوال ليفى بروفنسال) وهو الاسم الذى أطلقه عليه البابا (جريجورى الثالث) حيث باركت الكنيسة البابوية فى روما هذا الانتصار العظيم وهللت أوربا عن بكرة أبيها لهذا الانتصار ودقت الكنائس أجراسها فى كل دول أوربا تبارك هذا الانتصار وحقق شارل مائل هدفه فى وقف الطوفان الإسلامى الذى اكتسح اسبانيا فى أقل من أربعة أعوام وكاد يسقط مملكة الفرنجة ونقف هنا وقفه قصيرة لكى نرد على الذين مجدوا معركة بلاط الشهداء (بواتيه) من المؤرخين الأوروبيين وتقول لهم ان شارل مارتل لو انتصر نصرا حماسا كما تقول مصادرهم على المسلمين فما الذى منعه من التقدم نحو الجنوب ومطاردة المسلمين الذين انسحبوا جنوبا إلى الأندلس والاستيلاء على باقي الممتلكات الإسلامية فى جنوب فرنسا لو أنه كسر شوكة المسلمين كما تقول تلك المصادر فكيف استطاع عبد الملك بن فطين القهرى الذى آلت إليه القيادة (١١٤-١١٦هـ) بعد عبدالرحمن الغافقي ومن بعده يوسف الإندفاع إلى الشمال لتوطيد نفوذ المسلمين فى هذه الأراضى ومما الذى دفع جند اربونه بعد المعركة مباشرة بالسير شمالا والاستيلاء على اراضى فرنسيه جديدة وفتح تلك الاقاليم مرة اخرى ولم يستطع شارل مارتل أن يحرك قواته أثناء هذا التقدم الإسلامى فى جنوب إمبراطورية الفرنجة ولم يفكر فى السير للقاء الزحف الإسلامى القادم من الجنوب أو على الأقل إرسال أحد من فرقته الحربية لمقاتلة المسلمين ولكن اكتفى بما حدث فى بواتيه وخاف الدخول فى قتال مع المسلمين بعد ان شهد لهم بالبساله والضبر والشده والفراسة فى القتال والقدرة على التحرك السريع ، ولكن الظروف خدمته

فى هذه المعركة ورغم ماعرف من حب شارل فى ضم الاراضى وتوسيع
أمبراطوريته وطمعه فى توطيد سلطانه (محمد محمد الشيخ دوله الفرنجه وعلاقاتها
بالأمويين بالأندلس الاسكندريه طبع ١٩٨١م) وقد تكون كل هذه الأسباب هي
التي دفعت المسلمين إلى اخذ زمام المبادرة والقيام بتوطيد النفوذ الإسلامى فى
الاراضى التي تم الإستيلاء عليها من قبل .

وتقول أن الذى دفع شارل مارتل إلى عزوفه عن مقاتلة المسلمين وتجنبه اللقاء
معهم بعد معركة بلاط الشهداء هو أنه ذاق مرارة الحرب معهم وعرف قوة إيمانهم
وجلدهم وصبرهم وقدرتهم على القتال فصار بعد ذلك يتجنب الدخول في معركة
واسعة معهم ويخشى اللقاء معهم فى معارك كثيرة وقدر رأيناه يتخوف من تتبعهم
بعد الانسحاب ولو أنه لمس فى نفسه قدره لقام بمهاجمة موخرة الجيش المنسحب
لكنه اكتفى بما حصل عليه من اسرى (ثلاثه آلاف أسير والغنائم الخاصه
بالمسلمين) .

وأنعمت البابوية على شارل بلقب مارتل (Martel) وصار يعرف به وبما يحمله
من ملامح صليبيه ظاهره . ولم بجانب الصواب كتابات المؤرخين الأوروبيين حيث
انحازت عن جاده البحث العلمى وضخمت الحدث بتصورات مبالغ فيها دون إدراك
الأحداث الداخلية في المغرب والأندلس والشام وما كانت تمر به الخلافة الأموية
فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) من تغيرات جوهرية .

لكنها تحدثت عن مستقبل القارة الأوربية إذا ماكتب لمعركة بواتيه أن تنتهى إلى
غير صلح الأوروبيين ذلك لأن المد العربى الإسلامى فى اوربا المسحية قد وصل
الى ذروته فى معركة بواتيه ولم يكن هنالك من سبب يدعو المسلمين الى التوقف
لو حالفهم النجاح فكل الدلالات تشير إلى أنهم لو حققوا انتصاراً فى تلك المعركة
فكان اصرارهم على التقدم والمضى فى الخطة التوسعية الى النهاية واطواء كل
اوربا تحت لواء الإسلام ورايه القران الكريم .

ولقد قال احد المؤرخين الأوروبيين (Gibbon: RomanEmpire) أن معركة بواتيه
انقذت أباءنا الإنجليز وجيراننا الفرنسيين من نيران القرآن المدنى والدينى وأنه
لوحقق المسلمون، انتصارا فى هذه المعركة لرأينا القرآن يدرس فى اكسفورد

والسربون . لكن المعركة حفظت جلال روما وأخرت استعباد القسطينطينية وشدت
بآزر المسيحية وأوقعت بأعدائها التفرق والفشل وحدث بينهم الصراع العنصري
والقبلى .

ويؤكد جوستاف لوبون فى كتابه حضاره العرب أن معركة بلاط الشهداء
(بواتيه) لم تبضع حدا لتقدم الغرب كما يزعم كثير من المؤرخين بل أن المسلمين
سرعان ماأفاقوا من هول الهزيمة واخذوا يستردون مراكزهم السابقه لاسيما ان انباء
المعركة عندما تردد صدها ببلاد المغرب حيث العاصمة القيروان وعندما بلغ (عبيد
بن عبدالرحمن السلمى) الوالى الأموى على المغرب فقد تم تعيين حاكم للأندلس
فورا هو عبد الملك بن فطين الفهري . فأسرع هذا إلى أرجونه (أربونه) . وفى
الطريق أعاد الهدوء الى املاك المسلمين فى جبال البرت وجنوب فرنسا وتثبيت
سلطان المسلمين فى سيتيمانيه وفى جبال البرت وعقد معاهدات مع نفر من الرؤساء
الذين خلفوا الدوق اودو فى حكم نواحي اقطانيه وتمكن فى وقت قصير أن
يتلافى الكثير من الآثار السيئه التي تخلفت عن هزيمة البلاط . وقد سلم حاكم
مرسلها مقاطعه البروفانسى إلى المسلمين . وهكذا أصبح إتخاذ القرارات بمبادرات
توسعية جديدة فى أوروبا امر يحيط به الكثير من الشكوك ولكن تمسك المسلمين
بمكتسباتهم فيما وراء السفوح الشالية لجبال البرثيه أصبح امرا واقعا ولا بد من
الحفاظ عليه انطلاقا إلى رحلة أخرى عندما تسمح الظروف أن قول بعض المؤرخين
عن هذه المعركة أنه لو قدر لعبد الرحمن عبدالله الغافقي وجيشه بالانتصار لرأينا
القرآن الكريم يتلى ويدرس فى جامعات الغرب (كمبردج واكسفورد والسربون) أى
أن هذه البلاد كانت ستصبح مسلمة لكن عندما أفاقت أوروبا على الحضارة الإسلامية
فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا ادركوا خطأ هذه الأقوال واعتبروا ان توقف
الزحف الإسلامى فى معركة بلاط الشهداء كانت نكبه كبيره أصابت أوروبا بضريرة
عنيفه حرمتها من الحضارة الإسلامية وأن الإنتصارات كانت نكسه عليهم . إن الذى
ينظر إلى هذه الأقوال والكتابات الأوربية عن واقعة بلاط الشهداء ورواياتها يدرك
مدى التحامل والكراهية والبعد عن الحقائق أو إهمالها أو تصورات خاطئه تعلق

خساره المسلمين فى واقعة بلاط الشهداء لاسباب لم يكن لها منها إلا محاولة الدس والوصول إلى التفرقة مثل القول بحدوث خلاف بين العرب والبربر، لكن الجميع قاتلوا بشجاعة فائقة وتحسس للدين والعقيدة لأن الإسلام لم يكن يفرق بين العربى والبربرى فالجميع سواسيه ولقد سبق ذلك فى المغرب والأندلس ولم تكن هناك حساسيه فى المعامله لكن غالبية المشتركين فى المعركة كانوا من البربر فليسمن المعقول أن تكون سيطرة القله على الأكثرية وان قصه (موسونه) عثمان بن أبي نعسه الخشعمي لم تكن لينى عليها مثل هذا الافتراض وأن استشهاده الغافقي كان من الأسباب القويه للانسحاب السريع لإنقاذ الجيش وعدم الاستمرار فى معركة ظهرت بوارد صعوبة الاستمرار فيها بظروفها القاسية ، حتى إنه بعد استشهاد القائد الغافقي فإن الجيش الإسلامى كان مستمرا فى القتال ونال من الفرنجة رغم هذه الظروف لكن استشهاد الغافقي راد الموقف صعوبة ففضلوا الانسحاب ولعل تركهم الخيام منصوبه والغنائم فى مكانها مطروحة كما يقولون ولم تكن هناك غنائم ، ولكن روايات أوروبية تذكر أن الغنائم كانت سبب الهزيمة لأنه بسببها جرت حركة التفاف خلف المعسكر الإسلامى فتراجع بعض الجيش لحمايتها ومنع الفرنجة من الاستيلاء عليها كما كان السبب فى اختلال الجيش وفقده لتوازنه وتماسكه واستشهاد الغافقي وهزيمة الجيش وقصة الغنائم أسطوره لا اصل لها وهى تتعارض مع الهدف الإسلامى فى الجهاد ونشر الإسلام وإعلاء كلمة الدين وكان ترك الحامية القليله العدد لحمايه ظهر الانسحاب والخيام ما هو إلا تمويه وتضليل للعدو لم يدركها الفرنجة إلا صبيحة اليوم التالي وهم يستعدون للهجوم ، والانسحاب كان وفق خطة مدروسة خططت لها هيئة مستشاري القوات وأركان القيادة بعد استشهاد القائد الغافقي لكن قرار الانسحاب كان قرار القيادة التى تحملت المسئولية بعد استشهاد الغافقي لأن انسحاب هذه الأعداد الكبيرة ووصولها الى أرجونه يعنى أن قرار الانسحاب كان خطه تم ابلاغها للجميع لتنفيذ فى سرية تامة وفى جنح الظلام ليلا وان الانسحاب كان من الأسباب الأمنية لحماية بعض القوات التى كان لابد ان تنسحب لحماية شمال جبال البرانس ولم يكن نتيجة بوارد انكاسرية لأن الفرنجة ومعهم الأوروبيين لم يستطيعوا التحرك خلف القوات المنسحبه ولو أنهم ادركوا

ضعف هذه القوات لكان قرار المتابعة قد صدر من شارل للقضاء على بقيه القوات المنسحبة لاسيما أن كتاباتهم قد بالغت مبالغه مفرطة في كثرة القتلى في الجيش الإسلامي . لكن فرصه الأوروبيين وكثره كنياتهم أن المد الإسلامي توقف عن الاستمرار والتقدم داخل الاراضى الفرنسية الذى كان متوقعا اطوائها تحت لواء الإسلام ذلك لأن الارادة الإلهية شاءت أن تكون هذه المعركة حاجزا دون اندفاع المد الإسلامي ليشمل القارة الأوربية كلها ولكن رغم وقوع هذه المعركة وتخوف المسلمين من الإندفاع فى سهول فرنسا ورغم قصر الحديث عن هذه المعركة فى المصادر العربية حتى أنه لم يات ذكرها إلا فى سبعة سطور فى مصادر عربية متفرقة ورغم إفاضة المصادر الأوربية فى الحديث عنها وعن نتائجها وتوقف المد الإسلامي عن السيطرة واحتواء القاره الأوربية فاعتبروا المعركة حاجزا أنقذ أوروبا ومن هنا زادوا الحديث عنها والتهويل لآحداثها ونتائجها في جو من التزوير والإفتراء والمبالغة .

يعتبر المؤرخون الأوروبيين هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ الأوروبي فيذكر المؤرخ الأوربى (جيسون) أن العرب لو تحقق لهم الانتصار فى تلك المعركة لتشرت المساجد فى باريس ولندن بدلا من الكاتدرائيات الآن ولكان القرآن يقرأ ويتلى ويفسر فى اكسفورد وغيرها من المراكز العلمية فى انحاء أوروبا المختلفه كما علق المؤرخ (جون دوايورت) فى كتابه العرب عنصر السيادة فى العصور الوسطى) على موقعة بواتيه فقال المرجح أن معركة بواتيه التي نشبت بين عبدالرحمن الغافقي وشارل مارتل بأواسط فرنسا وانتهت بتقهقر العرب كانت أعظم عامل على تقلص ظل الحضارة العربية عن الغرب ولو انتصر العرب فى هذه الموقعة الكبرى لكانت أوروبا اليوم عبارة عن مقاطعة عربية إسلامية بلاريب .

ولقد أسرف الفرنسيون فى تقدير أهمية معركة بواتيه فذهبوا إلى أنها أنقذت حضارة غرب أوروبا ووضعت حدا لسيادة الشرق على الغرب والواقع أن هذه كلها مبالغات لايقبلها الحكم التاريخى الصحيح فلم يكن الفرنجة الذين تصدوا لرد المسلمين عن فرنسا بأصحاب البلاد بل كانوا غزاه اغاروا عليها وتملكوها بحد

السيف فإذا كان العرب المسلمون اغربا عن فرنسا فقد كان الفرنجة اغرابا ايضا وكانوا يحكمون البلاد بالعنف والقسوة حكما أجنبيا خالصا وكانوا يترفعون عن أهل غاله الاصلين ويعتبرونهم رعايا عليهم واجب الخضوع لهم ولم يكن الفرنجة الذين حاربهم المسلمون قد انتصروا للثقافة اللاتينية كما زعم مؤرخو الغرب فلم يكن هؤلاء الفرنجة يعرفون عن اللاتينية شيئا ومن هنا لم تكن موقعة بواتيه انقاذا للحضارة اللاتينية بقدر ماهي خسارة لعدم تقدم الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت من القرن الثامن الميلادي وفي الوقت الذي سلط المؤرخون الاوربيون المحدثون الأضواء على موقعة بواتيه أو بلاط الشهداء فإن المصادر التاريخية الإسلامية القديمة لم تهتم بها جانبا فهي لم تكن في نظرها إلا غزوة لاتختلف عن الغزوات التي خاضها جند الإسلام من قبل في فرنسا أو في غيرها من البلاد التي خضعت للفتح الإسلامي ولم يزد ماجاء في تلك المصادر عن هذه الموقعة عن سبعة أسطر مبعثرة على صفحاتها وربما يزيد عن ذلك وأن إجماع المؤرخين المسلمين عند عدم الاهتمام بهذه الموقعة مما يؤكد أن هذه الموقعة لم تؤثر على تطورات الأحداث تأثيرا كبيرا ولم تكن لها قيمة وزن على الاطلاق طوال العصر الوسط بدليل قيام والي عبد الله بن فطين الفهرى الذي ولى القيادة بعد استشهاد عبدالرحمن الغافقي (١١٤-١١٦هـ) بنشاط حربي خلف جبال البرانس (سوف تشير الى ذلك) أنظر

كتاب Mercier : Chares Martel et la Bataille de Poritiers

لكن قد يكون القاء الأضواء على هذه المعركة حديثا والذي صدر في باريس عام ١٩٥٤م أن الأمر لا يعدو أن يكون محاولة من جانب المؤرخين الأوروبيين في العصور الحديثه لتلمس أحداث من الماضي يربطون بينها وبين تاريخهم الحديث القصير العمر في مجده وتطوره (انظر الاهرام (صحيفة) السبت ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٤) حديث الاستاذ محمد حسنين هيكل وفيه تأكيد لما ذهب إليه المؤرخين الاوربيين في العصر الحديث :

وكما سبق القول فإن القيام بحركة الالتفاف السريعة لمهاجمه مؤخره الجيش الإسلامى قد عملت على اختلال نظام الجيش يتراجع بعض القوات لحماية المؤخرة ووقف تقدم قوات الفرنجة وصولا للقلب فيما أكثر واستطاع الجيش الأوروبى فتح ثغره فى دفاع المسلمين والوصول إلى حيث القائد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى حيث استشهد فأصبح الجيش بلا قياده وقد وقع خلاف بين رؤساء الجند وهل الاستمرار فى القتال إلى نهايته أم الانسحاب وانتصر رأى الانسحاب وأضطرب المسلمون إلى الانسحاب فى ظلام الليل دون أن يشعر بهم أعدائهم ولم يتعقب شارل مارتل فلول جيش المسلمين خشية أن يكون انسحابهم تدييرا لليقاع به فى كمين والقضاء عليه لكن مشروع غزو فرنسا لم يمت بنهاية عبد الرحمن الغافقى لكن المشروع ظهر مرة أخرى (الفصل السابع)

ولا غرو فقد كان من عادة الجيوش الإسلامية إنها كلما استعدت وتجهزت لفتح وتهيأت له أن يأمر قائد القوات الزاحفه ان ترافق الحملات نوعيات مختلفه من طوائف الشعب فى كل حرفه ومهنه لاسيما الحرف والمهن التى لها علاقة مباشرة بالقتال والجيش وخدمة القسوات والحرب والعتاد الحربى والبناء والتشيد ورجال القانون والشريعة (ابرام المعاهدات) وجماعات الدين للوعظ والإرشاد والعلماء فى فنون صنع الأسلحة والبارود والطب والجراحة والصيدلة ورجال التاريخ العارفين بتواريخ الأمم ورجال الترجمة العارفين باللغات اللاتينية وعاداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والاخلاقية لأن هدف المسلمين من جراء هذه الحملات ماكانت ترمى إلى بعث الارهاب وبث السيطرة والجبروت فى قلوب الناس وإنما كانت أهدافهم اسى وأعلى من هذا كله فالمسلمون كما نعلم يحملون رساله قرآنية سامية تهدف إلى نشر لواء الحضارة الإسلامية والنور والإيمان والعدل والسلام بين كل الشعوب المختلفة الألوان واللغات ومن المعروف أن الحروب فى كل زمان ومكان تنتهى بوقوع القتلى والجرحى والاسرى من كلا الجانبين المتحاربين كما حدث فى معركة بلاط الشهداء (بوتيه) حيث أسر الاعداء من جيوش المسلمين وقيادتهم مالا يقل عن ثلاثة آلاف جندى وجد بينهم بعد التحقيق من شخصياتهم عدد غير قليل من

الخبراء فى صناعة الأسلحة والبارود والطب والصيدلة والتمريض والبناء وصنع الأدوات الثقيلة وبناء الجسور وغيرهم من أرباب الفنون والصناعات كما وجد المستشاريين من أهل العلم والأدب والتشريع وهكذا سقط بعض الاسرى المسلمين فى معركة بلاط الشهداء حيث لم بقدر لهذه الحملة النجاح وهكذا كانت حملة عبدالرحمن الغافقي على فرنسا ترمي إلى نفس الأهداف وتلقف الأوروبيين الاسرى كغنيمة بارده وراحوا على توال الأيام يستغلون مواهبهم التي كان الفرنجة يتعطشون إلى استغلالها لشدة حاجتهم إليها فقد كانوا غارقين فى بحور مدلهمه من الضلال والفوضى وأصبح هؤلاء الاسرى نواة حركة حضارية وعلمية متقدمة وقد تحدث جوستاف لويون قائلاً أن انتصار شارل مارتل لم يكن له أهمية كبرى كما يذهب بعض المؤرخين بل أن مارتل أخفق تماماً في اجلاء العرب عن المدن التي فتحوها بل تقهقر أمامهم تاركاً لهم مافتحوه ولو انتصر العرب لكانت الفرصة لانتشار الحضارة الإسلامية الزاهرة كما انتشرت في الأندلس فقد كانت ثمار التقدم فى فرنسا وباقي أنحاء أوروبا مثلها كذلك فى الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا لكن فرنسا وأوروبا استفادت من الاسرى المسلمين حيث كان رجال الدين المسيحي أول من تنبه لأمر هؤلاء الأسرى ثم شاركهم في هذا الشعور جماعة ممن سبق لهم أن اتموا دراستهم وثقافتهم بالمعاهد العربية الإسلامية في الأندلس (٩٥-١١٤هـ) تسعة عشر عام ، فالقوا بادئ ذى بدء كتله اسموها باللاتينية مامعناه النواه المركزية راحت تعمل على الاستفادة علمياً وحضارياً وفتحاً من هؤلاء الاسرى كما أن الأستاذ أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام قد تحدث عن موقعة بواتيه فقال : لقد كانت بواتيه موقعه فاصلة بين العرب والمسلمين في الأندلس والفرنجة في أوروبا ومن خلفهم، إذ لولا هزيمة المسلمين في تلك المعركة لفتح المجال أمامهم واسعاً للإنتشار والتقدم لفتح كل القارة الأوروبية كما كان هو مرسوم منذ عهد موسى بن نصير واستفاد سكان تلك الأقطار المفتوحة بما عليه المسلمين من أخلاق وقيم وتقاليده الإسلامية وحضارة واستفاد سكان أوروبا من تعاليم الإسلام الخالدة وحضارته الزاهرة.

ولانخرط الاوربيين في دين الإسلام وتعلموا لغه العرب واطلعوا على علومهم وفنونهم ولكان العالم أشبه مايكون بكتلة واحده ولكن شاء الله أن يقفوا عند هذا الحد ورأى الفرنجة تمجيد شارل مارتل لأنه حماهم من غزو المسلمين واعتقدوا أنه لو انتصر عليهم المسلمين لما كانت النهضة الاوربية والاستقلال الاوروبي ولا علمهم ولا فنههم لاسيما أن معظم جنود شارل مارتل كانوا من البدو الاجلاف؟ شبه عراه رغم بروده الجو وباقي الجند يرتدون جلود الذئاب ويغطون رؤوسهم بشعور ملبده وهذا خير دليل على التخلف الحضاري والحياة البدائية ولقد لعبت عدة عوامل دورا كبيرا في عدم امتداد النفوذ الإسلامى فى فرنسا فقد اقتضت محاولة المسلمين على العبور إلى فرنسا من الأبواب والممرات الشرقيه فى جبال البرت وكان الوحيد الذي عبر من المعابر الغربيه هو عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي ومن هنا لم يركز المسلمون في تلك المناطق وركزوا جهودهم فى جنوب شرق فرنسا ولم يهتموا بالجهات الغربيه التي يسكنها أقوام جيليون اشداه ظلوا شوكة فى جنب المسلمين وكان من الضروري فتح هذه المناطق لتأمين الأراضي الإسلامية فى الأندلس وفرنسا. كما أن فرنسا كانت تبعد كثيرا عن العاصمة الأموية فى دمشق مما لايتح الفرصه للقواد العرب للاستفادة من توجهات الخليفة ورجاله وما يبعثون لهم من امدادات عسكريه وعتاد تكون دفعا لحركة المد الإسلامى وكانت حركة المد الإسلامى التى يسعى المسلمون الى تحقيقها في فتح منظم للأقاليم الفرنسيه وادخال فرنسا في رحاب الدوله الإسلامية العربيه وكانت جهود المسلمين في فرنسا من أمجد جهودهم وكانت تضحياتهم في سبيلها من أغلى ماضحوا به في فتوحاتهم وجهودهم خير شاهد ، واستشهاد العديد من قوادهم في سبيل ذلك شاهد عدل ولولا أن تكاثفت ظروف خارجية وداخلية على حرمانهم من الاستفادة من هذه الجهود لتغير وجه التاريخ الإنساني فى تلك القارة .

إضافة إلى أن العرب المسلمين لم يلبسوا أن افاقوا من تلك الضربة التى اصابتهم من شارل مارتل أن أخذوا يستردون مراكزهم السابقه وقد أقاموا بفرنسا (مائتي عام بعد ذلك) وثبت إقامة المسلمين في فرنسا فترة تزيد عن قرنين بعد شارل

مارتل ، ومن هنا فإن النصر الذى حققه شارل مارتل فى بلاط الشهداء (بواتيه) لم يكن مهما كما زعم المؤرخون ولم يستطع شارل مارتل أن يطرد المسلمين من آية مدينة فتحوها عسكريا بل أنه اضطر إلى التقهقر أمامهم تاركا لهم ما استولوا عليه من البلدان وكانت النتيجة المهمة الوحيدة التي أسفر عنها انتصاره هى أنه جعل المسلمين أقل جرأة فى غزو شمال فرنسا نتيجة مثل هذه وأن كانت كتاباتهم لم تكف لتضخيم أهمية انتصار هذا القائد فى بلاط الشهداء (بواتيه).

ذلك لان حاكم مقاطعه مرسليا ومقاطعه بروفانس سلم للمسلمين حكم البلاد عام ٧٣٧م واستولوا على الأولى ودخلوا مقاطعة سان ترويز عام ٨٨٩م ودامت اقامتهم بمقاطعه بروفانس حتى نهاية القرن العاشر من الميلاد وأوغلوا فى مقاطعه الغال وسويسرا عام ٩٣٥م ويرى بعض المؤرخين أنهم بلغوا مدينه ميس وبذلك لم تكن بلاط لشهداء (بواتيه) بالصورة الفاجعة التي صورها المؤرخين الاوربين الذين احاطوها بها له من التقديس والتكريم.

بل أنه مما يدعو للعجب والاستغراب أن يجد المرء بعض كبار المؤرخين فى عالمنا العربى الإسلامى والذين يتبوؤن مكانة عالية علمية اكاديمية وتلقى وسائل الاعلام المسموعة والمرئية الضوء عليهم باستمرار ينساقون وراء كتابات المؤرخين الأوروبيين وينقلون عنهم أقوالهم المغرضة التي توضح الإساءة البالغة للإسلام وأهله دون توضيح الهدف أو بيان القصد فنجد مثلا الدكتور أحمد شلبى فى كتابته التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج٢ طبع ١٩٦٩م ص١٢٩، ص١٣٠، يقول بالحرف الواحد يجدر بنا أن نلجأ الى جوستاف لوبون ليقرر لنا حقيقة هذه المعارك الفاصلة التي درات ووقعت فى جنوب فرنسا ومدى أهميتها ، يقرر غوستاف لوبون أن العرب استولوا على نصف فرنسا الحالية ولم يكن قصدهم الاستقرار بتلك البلاد وإنما كانت غاراتهم ترمى إلى التخويف وجمع الغنائم ولاحظ أن الكاتب (فرنسي الجنسية) وكان زحف العرب (وليس المسلمين) جارفاً أرعب أصحاب الاقطاع بفرنسا وأرعب شارل مارتل نفسه ويقتبس غوستاف لوبون من المؤرخين الغرب

(دون ذكر المصدر) عبارته تدل على صخب الزحف العربى وهذه العبارة وهى أن كثيرا من سيدات الفرنج اشتكوا إلى شارل مارتل من الأضرار التى أحدثتها المسلمون بهم ومن الخزى الذى أصاب أوربا من جراء انهزام جيوشهم أمام العرب فاجاب شارل مارتل قائلا: دعوهم يصنعوا مايشاؤون فهم الآن كالسيل الذى يأتي على كل مايعترضه ولكنهم إذا ما أثقلتهم الغنائم وطاب لهم المقام بالبيوت والفوز برفاهىة العيش واستحوذ الطمع على قادتهم ودب الشقاق في صفوفهم ، زحفنا عليهم واثقين من النصر (هذه إساءة بالغة في حق الإسلام والمسلمين لأن الإسلام نشر دعوه ورفع قرآن كريم ولان المسلمين ليسوا طلاب غنائم ولا قصور ولا نساء ولا طمع ولا شقاق) ويضيف الدكتور قائلا: وصحت نبؤة شارل مارتل واتبع هو هذه الخطة التى رسمها فقد انتظر على العرب حتى هدأت ثورتهم وثقلت غنائمهم ودبت المنافسة بينهم ثم قابلهم بجيش كبير ودارت المعارك يوما كاملا (خطأ) لقد دارت أحداث المعركة اكثر من أسبوع بل عشره أيام) ولم تسفر عن نتيجة حاسمة، ودخل الليل وبدأت المعارك تهدأ وحينذاك اقتحمت فرقة من جيش الفرنج معسكر المسلمين وخاف هؤلاء على غنائمهم فارتدوا للدفاع عنها تاركين الميدان وتقهقر بذلك الجيش العربى وتتبعهم شارل مارتل وأخذ ينهب البلاد التى يمر بها حتى أن أمراء النصارى خافوا زحفه فحالفوا العرب ليتخلصوا منه (ومن الذى كان ينهب ويسلب المسلمين أم الفرنجة لقد كانت الغزوه الاخيرة تشهد على ان المسلمين لم يكونوا يتحركون من أجل السلب والنهب ولكن تلك طباع الفرنجة .

أن عبدالرحمن عبدالله الغافقي كما ذكر عنه ابن شكوال فى كتابه نفح الطيب أنه كان رجلا نقيًا ورعا تقيا سيرته عطره اشتهر بالعدل والمساواه وحبه للجهاد فى سبيل الله كما أنه كان من التابعين وقد ورى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب (فكيف يكون قائد جيش من التابعين الذين تتلمذوا على رسول الله ﷺ يكون سلوك جيشه جمع الغنائم والكنوز وللأسف سار بعض العرب على نهج وفكر الغرب دون فحص أو تدقيق أو تنفيذ هذه الأساليب الرخيصة لخداع القارىء العربى والمسلم بعيدا عن الحقيقة التى تصف جند الرسالة الإسلامية طلاب الشهادة أو النصر بأنهم طلاب غنائم وأسلاب ونساء وشهوة وملذات .

واذا كان الجانب الاوربى يتصور أن أسباب الهزيمة هى حرص المسلمين على الأسلاب والغنائم بعد تركهم القتال والانصراف لحماية هذه الكنوز والرد على مثل هذه الدعاوى بسيط وسهل وميسر وهو أنه كيف يحمل معهم هذه الغنائم لمسافة ١٣٠٠ كيلو متر بعيدا عن العاصمة القرطبية ، ودعنا من المسافة من العاصمة بواتيه ولكن كيف يتم حمل هذه الغنائم لمسافة ٤٠٠ كيلو شمال جبال البرت . ألم يكن أولى لهم أن يتركوا هذه الغنائم فى أى من المدن الكثيرة التى تم فتحها والسابق الاشارة إليها لاسيما أن كل مدينه كان يتم ترك حامية إسلامية بها إضافة إلى أن هذه الغنائم لم يكن قد تم تقسيمها بين الجنود حتى يحتفظ كل جندى بما يستحقه من هذه الكنوز وهنا تسقط دعوى جوستاف لوبون وغيره من كتاب الغرب لاسيما أن الجيش الإسلامى يعلم مقدما بناء على تقارير الاستطلاعات العسكرية أنه ذاهب لقتال كل اوربا وإنه فى اراضى واسعة وشارل حشد كل مايمكن حشده . إن القوات الإسلامية مرت فى طريقها فى اراضى فقيرة جرداء وأهلها معدمون لا يملكون كنوز ومجوهرات بل إنهم كانوا يلبسون جلود الحيوانات إلى منتصف أقدامهم ونصف أجسامهم عارية ولكن لما كان انتصار بواتيه المحدود هو أول انتصار يتحقق لاوربا منذ دخل المسلمون اوربا فى عام ٩٢-١١٤هـ (اثنين وعشرين عاما) فقد يعد ذلك بالنسبة لهم حدثا تاريخيا لم يسبق حدوثه لاسيما أن الذعر قد أصاب الجند الفرنجى فى بداية المعركة من جسارة وقوة إيمان المقاتل المسلم وقد صورت الكنيسة ورهبانها والبابا جريجورى الثالث ماحدث كأنه يوم القيامة وركز عليه الرهبان بأنه أنفذ النصرانية فى ضربة كانت تعد لها وذلك بدوافع صليبية وعصبية مدفونه فى القلوب منذ معركة اليرموك فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب لكن بعض الكتاب الأوروبيين المنصفين وقد روا ماجاء به القيم الإسلامية فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا وجنوب فرنسا (أقليم بروفاس) قد اعتبروا معركة بلاط الشهداء نكبه كبيرة أصابت اوربا وضربة عنيفة حرمتها من الحضارة الراقية ومن تحرير الإنسان من نير العبودية والإقطاع والسخرية وحفظ كرامته طبقا لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن هنا فإن بلاط الشهداء كانت نكسه) كبيرة أصابت أوربا وأخرت تقدمها مثلما شاهد الاوروبيين فى المناطق

السابق الإشارة إليها والتي دخلها الإسلام ، إن جند الفرنجة بانتصارهم في بلاط الشهداء لم يقدموا خيرا لاوروبا لأن شارل مارتل بما حققه قد أخرج القارة الاوربية ومستقبلها الحضاري لأن ما أصابها على يد جند الفرنجة بقيادة شارل مارتل Chakles Martel الذي حشد جيشا ضخما من الفرنج ومن مختلف العشائر الجرمانية المتوحشة والعصابات المرتزقة فيما وراء نهر الراين مع المقاتلة الكثيرة من دول الشمال وأمم كلها دخلت جندا غير منظمين متوحشين نصف عراة . يتسترون بعجلود الأبقار والذئاب والحيوانات الأخرى لاتستتر إلا عوراتهم وشعورهم المجدعة الطويلة التي تنسدل فوق أكتافهم العارية وكأنهم سكان غابات لم يألفوا الحياة وتلك كانت حالة هذه الشعوب في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي (٧٣٢م) وقت المعركة في حين أن اوربا لم تفق من غفلتها إلا في القرن الخامس عشر الميلادي وبعد المعركة بثمانية قرون . فكيف كان حال هذه البلاد ومامدى الرقي والتقدم الذي كانت تعيش فيه الحضارة الإسلامية تطل من الأندلس ، أن تقدم القوات الإسلامية وصولا إلى مايقرب من ٢٠ كيلومتر جنوب باريس أو سبعين كيلومتر أو ٣٠ كيلومتر فإن الدولة الإسلامية لو قدر لها أن تقيم نظاما سياسيا وأداريا وتنظيما مثلما حدث في الأندلس لتغيرت الصورة الحضارية والثقافة والعملية والفكرية كثيرا عما حدث في القرن الخامس عشر من نهضة حضارية ذلك ان الحضارة في الأندلس خير شاهد على دور المسلمين الحضاري وتقول بعض المصادر أن الراى السائد عن تاريخ هذه المعركة أنها بدأت في ١٢ اكتوبر، ٧٣٢م تسعة أواخر شعبان ١١٤هـ واستمرت حتى يوم ٢٠ اكتوبر من نفس العام بل اوائل أى تسعة أيام لكن رغم ماحدث في هذه الموقعة فإن ذلك لم يمنع المسلمين من إعادة الكرة مرة أخرى والغزو في ذلك الاقليم لأن بلاط الشهداء لم تكن إلا معركة مثل طلو شوه أو تور أو لكه أو غيرها في فرنسا وإذا كان لم يقدر للمسلمين أن يحققوا نصرا حاسما في تلك المعركة التي دامت مايقرب من عشرة أيام وخسروا بعضا من قواتهم واضطروا إلى الانسحاب المنتظم المدروس المتفق عليه والواضح أمام كل جندي دوره في خطة الانسحاب . فإن ذلك لا يعني أن المسلمين قد فقدوا الأمل نهائيا في فتح فرنسا ومحاولة مد الراية الإسلامية مرة أخرى إلى

الشمال أو أن شارل مارتل استطاع راحة المسلمين من المدن والحصون والقلاع والاقاليم التي كانوا يسيطرون عليها في أقليم جنوب وشرق فرنسا حيث كانت هذه المناطق قد أتخذت الطابع العربي الإسلامي وبدأت معالم الحكم والاستقرار في تلك الاقاليم الواقعة شمال خط جبال البرانس وظل الإسلام في هذه الاقاليم قرابة مائتي عام أو يزيد وفي ذلك يقول أحد الباحثين الفرنسيين أنفسهم في كتابة Mus-lim Colonies إن الدم العربي لازال متغلبا في جنوب فرنسا ولاسيما في أقليم يرست وغيرها من المدن وفي جبال البرت وفي أقليم السافو إذ لازال نرى إلى اليوم اناسا سحتهم عربية صرفه ولهم لغة خاصة بهم ويسميههم أهل تلك الأرجاء بالشرقيين ولم يزل هؤلاء في عزلة عن الفرنسيين ولا يتزوجون منهم ولكن من جماعاتهم ومن عاداتهم ألا يقيموا المراقص في حفلاتهم وتتجنب معظم نسائهم وتحمل الكثير من أسمائهم اسم الله ظاهرا كعبد الله أو فتح الله وهم يفتخرون بأنهم في سلالة العرب الفاتحين لهذه الأرجاء والتي خضعت لنفوذ أجدادهم وسيطرتهم في عصر الإسلام الزاهر في القارة الاوربية (شكيب أرسلان تاريخ غزوات العرب مترجم عن جوزيف رينو) ولقد كان المسلمين أكثر ميلا إلى التسامح مع سكان هذه النواحي الجنوبية من فرنسا طعما في كسبهم إلى جانبهم وطعما في اقناعهم باعتناق الدين الإسلامي والخروج من دين الوثنية الذي يعيشون عليه وكانت الحاميات الإسلامية في جنوب فرنسا تسكن في القلاع والابراج التي بنيت لهذا الغرض وذلك لحماية المناطق الواقعة شمال جبال البرت والواقعة تحت سيطرة المد الإسلامي وكانوا يقيمون بإقرار السلم والنظام بين أهل تلك النواحي وأيضا جمع الضرائب والأموال والخراج طبقا لنص الشريعة الإسلامية وقد ترك المسلمون لأهل تلك النواحي في فرنسا حرية ممارسة شعائرهم الدينية وعدم اجبارهم على الدخول في الدين الإسلامي لأنه لا اكراه في الدين بل أن كثيرا من سكان تلك النواحي قد دخلوا في دين الإسلام أفواجا بل سكان هذه النواحي قد احبوا المسلمين وتفانوا في خدمتهم وكرهوا شارل مارتل وحكمه وساعدوا المسلمين على تدعيم مواقعهم في تلك الأرجاء وقدموا لهم التسهيلات اللازمة. وأنهم دخلوا في الإسلام كاهل بل أنهم عملوا على تعلم اللغة العربية ولو طال بقاء المسلمين في

هذه الأرجاء مثل الأندلس لرأينا من بينهم العلماء العقهاء والباحثين العلميين والفلاسفة ورجال الكيمياء والرياضة والقضاء ورجال الدين الفرنسيين المسلمين كما حدث في الأندلس وهذا يعطى الدليل على أن المسلمين لم يدخلوا فرنسا غزاه ناهيين ولا حكاما طامعين ولا سياسيين محترفين ولم يضعوا الغنائم والأسلاب كل همهم ومقصدهم بل دخلوها أصحاب رسالة وعقيدة عاملين على نشر رسالتهم السمحة وأن المسلمين كان لهم أثر فعال في تمدن الجزء الجنوبي من أرض فرنسا وأنه تحول بسرعة إلى التقدم والحضارة فأزدهرت العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة، بل لم يقتصر فعل المسلمين على ترقية العلوم بما نشروا من معرفة وثقافة وحضارة وأقاموا الجامعات وألفوا كتب في مختلف المعارف الإنسانية التي كان لها الأثر البالغ في فرنسا ولو بسط المسلمون لواء الإسلام في فرنسا كلها لتغير وجه القارة نهائيا في ذلك الجزء من العالم ولسادت الحضارة الإسلامية في فرنسا بل أن اللغة الفرنسية تأثرت باللغة العربية وأن اللهجات السائدة في ولايات افرون وليموزين فإن بها كثيرا من الكلمات العربية لاسيما أسماء الأعلام فإنها ذات سمة عربية .

الفصل السابع

الفتوحات الإسلامية في فرنسا
بعد بلاط الشهداء

الفتوحات الإسلامية في فرنسا بعد بلاط الشهداء

لم يكن استشهاد عبد الرحمن عبد الله الغافقي وأحداث معركة بلاط الشهداء لتحول دون توقف حركة المد الإسلامي في سهول فرنسا الجنوبية ولكن اعترافا للحقيقة فإنه لم يكن في قوة اندفاعه واستعداده وتجهيزه مثلما كان عليه الحال قبل معركة بلاط الشهداء مباشرة وماقام به الغافقي من أعمال كبيرة قد استنفذت كثيرا وأرهقت مصادر الاندلسي.

وتذكر المصادر أنه بعد استشهاد عبد الرحمن الغافقي وعودة القوات الإسلامية إلى الجنوب في اتجاه الاندلس فإن الجنود العائدة من أرض المعركة اتجهت إلى أريونه ومرت على مقربة من «جيرييه» وغزت في طريقها بلدة «ليموزين» واستولت على مدينة «سوليتال» وحين أحس الجيش الإسلامي بأن أحداً من قوات أوروبا والفرنجة والعصابات المرتزقة لم تتحرك وراءه ويتعقبه خوفاً من أن تكون خطة الانسحاب خدعه عسكريه يقع في شركها جند شارل مارشل ، فإنهم تمهلوا في سيرهم ، وجمعوا واحداً منهم ونسقوا صفوفهم واتجهوا صوب الاندلس على مهل دون خوف من أي قوة أوروبية .

وكانت القيادة السياسية في القيروان قد اسرعت وعلى وجه السرعة والتعجل خوفاً على البلاد فاصدرت أوامرها بتولى قائد وحاكم جديد للاندلس خلفاً للشهيد الغافقي هو عبد الملك بن فطين الفهري وتشير المصادر الأوربية إلى أن الوالي الجديد استطاع بمساعدة أحد قواده الذين كانت لهم خبره ودرايه في الأقاليم الجنوبية بفرنسا هو يوسف الفهري أن يفتح مدن (ارل ، ابنيون ، مالانس ، ليون) وثبت حدود املاك المسلمين هناك ، ثم اخضع إقليم «دوقيتيه» الذي يمتد شرق نهر الرون ويشمل جزء كبير كما يعرف اليوم بالريفير الايطالية واشتغل بعد ذلك بإعادة سلطان المسلمين على نواحي جبال البرت ويلاحظ أن المسلمين اتخذوا سياسة جديدة لحكم مابيدهم من أراضي فرنسية وهي إقامة حاميات قوية في المدن

وتحصين قلاعها واتخاذ هذه القلاع مراكز للحكم والحرب وهكذا كان الحال في ليون و ايتبون التي يسميها المسلمون صخره ايبنون وارل وغيرها .

وبذلك فقد تحدثت المصادر عن نشاط جهادي قام به عبد الملك بن فطين الفهري (١١٤ - ١١٦هـ) ، (٧٣٢-٧٣٤م) عن نشاط جهادي فيما وراء البرانس ، وذكرت المصادر الأوربية نفسها قائلة أن أول عمل اهتم به عبد الملك هو السير إلى الأراضي الفرنسية بعد أن وحد كلمه جنوده وجميع قواتهم وذلك لاقرار النفوذ والسلطة الإسلامية بهذا الانحاء بل أن هذه المصادر تذكر أنه وصل إلى مدينة «لانجودك» في الأراضي الفرنسية شمالا واهتم ببناء المعازل والحصون وحصن القلاع القديمة التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين وامدها بالرجال والعتاد وقام ببناء قلاع جديدة وكان اهالي اقليم سيطرته شارل مارتل فاستعانوا بالمسلمين المتحصنين في أربونه وخشوا أن يقعوا تحت سيطرة شارل مارتل فاستعانوا بالمسلمين المتحصنين في أربونه وحالفوا جند الإسلام وثبت المسلمون في ولايتي بوجونيا وليون . وكان عام ١١٥هـ/ ٧٣٣م قد شهد تحركات الفهري فيما وراء جبال البرانس وانه غز أرض الباسك ، ولا سيما ان هناك احتمال بأن يكون عبد الملك بن فطين الفهري هذا هو الذي تولى قيادة القوات الإسلامية المنسحبة من بلاط الشهداء جنوبا بعد استشهاد الغافقي وأنه ربما يكون بمساعدة الأول وأنه اشترك فعلا في هذه المعركة لأنه تم تعيينه في داخل الأراضي الأندلسية ولم يكن حاكما قادمًا من المغرب كما كان يتم في تعيين بعض الولاة لأن تعيينه تم على وجه السرعة ولذا كانت له خبرة بالمناطق الشمالية .

وقد ذكرت المصادر الأوربية أن قائد جيش المسلمين في مدينة اربونه وباقي الولايات بفرنسا الجنوبية قام بعدة غزوات بما كان لديه من قوات وتطلق عليه هذه المصادر يوسف وهو ربما يكون يوسف الفهري وكان هذا الوالي قد جمع قواته وتحرك بها لكي يثبت لشارل وقواته قوة الجند الإسلامي وإنه لازال يفتح البلاد والحصون في نفس عام المعركة ١١٤هـ ولهذا فإنه عبر نهر الردهان واستولى على

مدينة اراك وسيطر على اقليم بروفانس جمعيه واستولى على بلدة فرنا ثم توجه بعد ذلك نحو ابنسون واقتحمها وتم الاستيلاء عليها ووصلت جيوش المسلمين إلى نهر «الديوراس» ووقفوا عند هذا الحد بعد ان استعادوا بقيادة يوسف هذا جزء من الأراضى الفرنسية ، كانوا قد فقدوه بعد معركة بلاط الشهداء وخرج من يد السيطرة الإسلامية ، وهكذا ثبتت أقدام المسلمين في هذا الجزء من فرنسا ولم يجروا أحد على منازعتهم السلطة فيها وحافظ المسلمون على ممتلكاتهم فيما وراء السفوح الشمالية لجبال البرنيه لاسيما (ناربونه Narbonne التي ظلت لفترة ما قاعدة الغزوات الإسلامية في وادي الرون إلا إنهم عمليا لم يتجاوزوا بعد ذلك شمالا وانحسرت موجه الحرب المنظمه لتتحول إلى نظام تقليدي يشبه كثيرا نظام الصوائف (حملات كانت تتم في فصل الصيف وكان يقوم بها المسلمون كل عام)، فقد احاط بالتحركات العسكرية في تلك الفترة شىء من الغموض والمعلومات التي ترجع إليها وتستخدمها تكاد تقتصر على المصادر الأوربية ، وتذكر أن حاكم ناربونه Narbonne يوسف بن عبد الرحمن الفهري (٧٣٤م) أوغل في وادي الرون واستمر نحو أربع سنوات في هذه المناطق يقاتل ويستولى على المدن قبل أن يعود إلى ناربونه. ومن المعتقد أن تراجعهم جاء في أعقاب هجوم معاكس قام به شارل مارتل الذي كان مشغولا عن المسلمين باعداء كثيرين من ابناء جنسه في شمال مملكته مما أتاح للمسلمين أن يتركوا طوال هذه السنوات الأربع ويعيدوا تنظيم أنفسهم من جديد حيث كان شارل يعمل على اخضاع شعوب السكسون وينظم الكنيسة المسيحية في جنوب ألمانيا ومساعدة بونيفاس في تحويل قبائلها إلى المسيحية وساعد اللباردين حلفائه ضد البابا جريجوري الثالث واستولى على بعض اراضى الكنيسة لمنحها لاتباعه وقام بتعيين أعوانه في الاسقفيات الشاغرة وبذلك لم يكن مستعدا للقاء المسلمين ولم ينتهز المسلمين هذه الفرص للحشد والإنطلاق والتوسع وإضافة إلى أن الخلافة الأموية في دمشق في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) كانت لها مشاغلها الكثيرة ولذا شهدت القيروان تغيرات اداريه واسعة . ولم تكن الخلافة في تلك الفترة تضع في حساباتها التوسع والإنطلاق بصورة قويه مثلما حدث من قبل في بلاط الشهداء ولم تكن بلاط الشهداء هي التي أوقفت التوسع

والإنتشار لانه ليس الهزيمة في معركة هي الأولى من نوعها في تاريخ المسلمين في أوروبا تحول دون الانطلاق ولكن الظروف الداخلية كانت السبب ، لاسيما أن الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ) كان لا يزال في الخلافة بعد معركة بلاط الشهداء (١١٤هـ) وانه لم يكن يريد المغامرة في حرب واسعة النطاق في فرنسا ، تعد لها الخلافة كل مواردها بعد أن تم اسر أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل ومقتل أكثر من ثمانية آلاف جندي في هذه المعركة ، ولهذا فإن هشام بن عبد الملك ربما يكون وراء عدم الموافقة على الحشد الكبير للغزو الواسع . والاكتفاء بغزوات محدودة في جنوب فرنسا وعدم التوغل بعيدا إلى الشمال بمسافات طويلة عن العاصمة قرطبه ، أو عن رجال البرانس فهي يسهل حركة الإمداد والعودة إلى القواعد الجنوبية في فرنسا ولذا لم تكن الخلافة على استعداد للدخول في معركة أخرى مثل بلاط الشهداء . لاسيما أن جميع الخلفاء الذين جاءوا بعد هشام بن عبد الملك ، الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ) هي عام واحد ثم يزيد بن الوليد أقل من ستة أشهر (١٢٦هـ) ثم ابراهيم بن الوليد (١٢٦هـ) عدة شهيرة وقد كانت هذه الفتن والخلافات والصراعات في البيت الأموي بدمشق عاملا قويا لاختلاف حوله في عدم قدرة الدولة على الغزو بكثافة في فرنسا لاسيما أن هشام بن عبد الملك كان خاتم الخلفاء الأقوياء في الدولة الأموية .

وجاهد المسلمون سبعين عاما لمواصلة فتح المغرب وهزموا أكثر من ثلاث مرات بل تمت ابادته كامله للقوات ومع هذا تم اعاده فتح المغرب (انظر موسوعه تاريخ المغرب ، الجزء الأول، تأليف الدكتور عبدالفتاح مقلد الغنيمي ١٩٩٤م مكتبته مدبولي) لكن شارل مارتل كان منهمكا في مشاكله وإعادة الترتيبات العسكرية في دولته والاستعداد لادني تطور من جانب المسلمين والعمل على تحصين خطوط دفاعاته ، لكن شارل اراد اختبار قوة المسلمين مرة أخرى لكنه هزم حيث أنه قام بمحاولة حصار القاعدة الإسلامية (ناريونه) ولكن حاكم الاندلس أرسل فرقة لانقاذ المدينة ما لبثت أن اصطدمت مع الفرنجه في معركة عند بير (Berrel) وهو مجرى ماء صغير إلى الجنوب من ناربونه، الا أن قوات شارل منيت بهزيمة قاسيه حيث

دافعت المدينة عن نفسها بشراسة ، لكنه كرر المحاولة مرة أخرى وعاد إلى حصار المدينة لكن فشلت المحاولة للمرة الثانية واضطر إلى الانسحاب تاركا وراءه القتلى والمعدات والعتاد وهو مقتنع بقوة المسلمين رغم بقائهم في هذه القاعدة فقد الكثير من قوة اندفاعه وقوته وحماسة وتصميمه القديم ، وظلت ناربونه قاعدة المسلمين الدائمة في اقليم سينمائييه؟ تشكل جرحا غائرا في جسد شارل وثغره دائمه في دولته حتى موته في نهاية اكتوبر عام ٧٤١م ، وهذا خير دليل على صلابه الجند الإسلامي وقد فشلت كل محاولاته السابقة والتي سعى إلى السيطرة عليها واستهدفت مالدورها في تحصينات قوية وموقع بحري ممتاز يسهل لها عمليات المساعدة من جانب القوات الإسلامية حيث كان المسلمين يرون فيها المحطة الباقية شمال جبال البرانس وهي بدايه طموحاتهم لاستعادة ما فقدوه في فرنسا وشهدت حركة التوسع الإسلامي شمال جبال البرانس في الأراضي الفرنسية تحركا في عهد عقبه بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦ - صفر ١٢٣هـ) (٧٣٤هـ - ٧٣٩م) وانطلاقه اخرى وتدعيما للنموذج الإسلامي في هذه المناطق التي بسطوا سيطرتهم عليها وفي ذلك أربونه وقرفشونه وكذلك مقاطعة البروفانس Provence شمال سينمائييه إلى الشرق من عاصمتها اينبون Arignon على وادي نهر الرون Rhone ومقاطعه براجنويا Purunda شمال مقاطعة البروفانس وقد سار على خطى عنبه بن سحيم الكلبي في التوسع شمالا لكنه لم يتطرق إلى الأجزاء الغربية في فرنسا .

وتشير المصادر إلى أن محاولات عقبه السلولي كانت آخر المحاولات الإسلامية حيث كان من القواد الكبار حيث النزعه الحربية البارزة والاجتهاد في مواصلة السياسة الإسلامية التوسعية والذي كان يخطط له وكانت أهم عملياته العسكرية في إقليم بروجانديه ، والبروفانس والدوفنيه Dauphine (٧٣٩م) ولكن هذه الجهود لم تكن لتضع قواعد ثابتة وتوسع فعلى يثبت الكيان الإسلامي في هذه المناطق المفتوحة بل كانت مجرد غارات ثم العوده إلى نقطة الإنطلاق ذلك لأن شارل مارتل كان يترصد باهتمام اخبار ونشاطات هذا القائد ومن ثم مالبث أن أرسل في

أثره اخاه (شلدبراند) Childbrand . أحد كبار القواد البارزين في مملكه الفرنجة واستنجد من جديد كل طاقات حلفائه الأوروبيين في إجراء يشبه إلى حد كبير ماجرى قبل معركة بلاط الشهداء وبعد انتصارات الغافقى الواسعة قبل هذه المعركة حيث عزم شارل على وضع حد للهجوم العربي الإسلامي لاسيما وأنه كان قد فرغ من القضاء على كل أثر لأعدائه في فرنسا وجنوب ألمانيا وكل القوى المعارضة له في هذه الاقاليم لاسيما السكسون .

وكان عقبه هذا رجلا مجاهدا مثله مثل عبد الرحمن الغافقى مسلما صلبا قوي الإيمان والعقيدة عادلا متفانيا في القيام بأعباء منصبه الجديد لذا سار نحو دوقيه واستولى عليها ثم استولى على مدينة «سان بول تردا» ودوتريز ثم اتجه شمالا في جراه وحزم فاستولى على اقليم فالانس وأيضا مدينة فنين بل انه كاد أن يقترب من مكان بلاط الشهداء فى تحركه شمالا حيث صعد مع نهر ردانسه (واعاد فتح اقليم بورجونيه ورحل إلى بيدمنت فى شمال ايطاليا .

وبدأ المسلمون يستعيدون مراكزهم من جديد في أرض فرنسا ، واحس شارل مارل بالخطر للمرة الثانية يتهدد بلاده بعد تقدم المسلمين إلى جنوب فرنسا بحشود ضخمة ومجهزه بأحدث الأسلحة العصريه يحدوهم الأمل في الإنتقام لما حدث في بلاط الشهداء (ابواينة) وكان شارل قد انتهى من حروبه مع اعدائه في شمال البلاد ومن ثم فقد كانت كل الظروف تساعد على الانصراف كلية لمحاربه المسلمين الذين اندفعوا كالسيل العرم في الجنوب واستطاع أن يحشد قوات عسكرية كبيرة وولي أخاه شلدبراند قيادة الجموع يساعده في القيادة بقوات حاشدة أيضا ملك بيدمنت الإيطالي الذي بدأت ارضيه تدخل في حوره الإسلام والمسلمين وذلك لوقوف رحف المسلمين إلى الشمال ووصل شلدبراند إلى «ابنسيون» وكان المسلمين قد احسنوا تحصينها وحشدوا فيها الرجال والعتاد فعجز عن فتحها وعن كسر مقاومه جندها . فاستنجد بأخيه شارل مارتل بعد أن استحال عليه المدينة وقدم شارل بمدد كثيف وشد الاخوان الحصار المحكم على المدينة وأمام هذا الضغط الطويل

والعنيف واستمرار الحصار وقلّة المؤن والعتاد وعدم وصول المدد الإسلامي من الجنوب لهذه المدينة المحاصرة فلم يستطيع المسلمون الاستمرار في الدفاع عن اينسبون ولا سيما وقد تأخر وصول الامدادات الحربية من الاندلس .

ومع هذا فإنهم رفضوا تسليم المدينة واستماتوا في الدفاع عنها ودافعوا دفاع الأبطال ولكن الفرنجة استطاعوا فتحها واستخدموا كل وسائل القتل والحرق والهدم ضد المدينة وسكانها من المسلمين وجاءت إلى المدينة جيوش جرارة من الفرنجة ازالّت كل أثر للمسلمين في تلك المدينة .

وبعد ذلك تقدم جيش الفرنجة إلى الجنوب نحو اربونه يقوده شارل مارتل صاحب معركة بلاط الشهداء ومعه أخيه وقوات ملك بيدمنت الإيطالي وذلك على معقل المسلمين الرئيسي في فرنسا وكان قائد جند المسلمين في ذلك الوقت رجلا اسمه (هرثمه) جمع قوات المسلمين حوله وحصن المدينة واستعد للدفاع عنها حتى آخر جندي مسلم وشدد شارل الحصار على مدينة (اربونه) بقوات كبيرة ودافعت حاميتها الإسلامية عن أرضها ومدينتها دفاع الأبطال فلم يدرك شارل وجنوده أى منال ورغم أنه شدد الحصار إلى أنه اضطر إلى رفع الحصار والتقهقهر أمام الدفاع الإسلامي القوي وعاد إلى الشمال بعد أن فشل في فتح مدينة اربونه واستطاع المسلمون أن يكبدوه خسائر فادحة عند انسحابه وذلك بسبب مهاجمتهم مؤخرة جنده وأسر العديد من هذه القوات ، ويبدو أن سكان هذه المناطق قد شجعوا المسلمين على الدفاع عن المدينة وامدوهم بالمساعدات وعملوا على عدم مساعدة شارل مارتل ولذلك فإن شارل مارتل قد انتقم من أهل فرنسا ليعزى نفسه عن الفشل أمام حصون اربونه القوية فخرّب حصون النصارى في جنوب فرنسا وخرّب مدينة بيزته ، واجده وتيممه ، وهذا دليل قوى على أن سكان جنوب فرنسا كانوا يفضلون حكم المسلمين على حكم شارل مارتل .

ونعود إلى دور عقبة السلولي في تلك المناطق فنجد أنه قد غاب عن المسرح السياسي في قرطبه بإنقلاب تم ضده . وبوفاة السلولي تنطوي آخر صفحات

الفتح في جنوب فرنسا ونتهي فترة الفتوحات في تلك المناطق بعد أن ارتبط اسمه بإحدى هذه الغزوات الكبيرة في شمال جبال البرانس ، ولكن عقبة كان كغيره من القواد الكبار السابقين له (السمح الخولاني ، عنبسه الكلبي ، عبد الرحمن الغافقي) لم يحالفهم الحظ في فتح كل فرنسا فبعد عدة هجمات سريعة في منطقة الرون Rone وقاتل بقايا القوط في اقليم جليفه وشن عليهم حربا ضارية لكن ذلك لم يوضح الصورة تامة عن نهايته ذلك كان الغموض يحيط بمصير عقبة بعد توقف زحفه أمام الحشد الاوربي مرة ثانية بقيادة شارل مارل ولاسيما أنه لا توجد اشارة إلى استشهاده في هذه المعركة عند محاولة رفع الحصار الأوربي عن ناربون Norbonne لكن أصابع الاتهام تشير الى انقلاب جديد ضده في قرطبه واستولى الحاكم السابق للبلاد (عبد الله بن فطين الفهري) على مقاليد الأمور في الأندلس .

لكن الدكتور عبد العزيز السيد سالم يذكر أن عقبة السلولي استشهد في معركة عند مدينة قرقوشه ، إحدى مدن قاطعة سينمانيه في صفر ٢٣ هـ لعله وهو عائد إلى الأندلس بعد جهاده في فرنسا وربما كان عقبة ينوى التوجه إلى غرب فرنسا بعد أن وطد الأمور في مقاطعة بوجنديا Burgundia شمال مقاطعة البروفانس وكذلك مقاطعة البروفانس Provence شمال سينمانيه إلى الشرق وعاصمتها اربونه وقرقوشه واحدة من مدنها وتقع المقاطعه جنوبي فرنسا وشرقها عبر شاطئ البحر المتوسط وملاصقة جبال البرت ومن هنا كان عليه بعد أن وطد النفوذ الإسلامي في تلك المناطق أنه يتجه إلى غرب فرنسا يجتاز أقليم اقيطانيا متجها إلى المكان الذي جرت فيه معركة بلاط الشهداء وهذا ما يمكن أن نوضحه للقارئ الكريم عن خطه الفتح التي سار بها عقبة السلولي لاسيما انه كان يتحرك وفق خطه علمية مدروسة في الفتح وراء البرت متعاوناً مع حكام الولايات السابقة لاسيما أنه استمر يحكم البلاد خمس سنوات قضى معظمها غازياً في جنوب فرنسا وبذلك تنتهي المحاولات الإسلامية لغزو أوربا بوفاة عقبة السلولي حيث السرعة البارزة لاجتهاده في

مواصلة السياسة التوسعية ولكن هذه الجهود لم تحقق التوسع النهائي بضم فرنسا وتكوين دولة اسلامية فرنسية تجاور الاندلس لان شارل مارتل الذي توفي عام ٧٤١م بعد وفاه عقبة السلولي بعامين (٧٣٩م) كان يترصد باهتمام اخبار هذا القائد الذي هو صورة لموسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي ومالبت أن أرسل أخاه «شليدبراند» Childerbrand أحد القادة البارزين بين قواده حيث وضع حدا لتوغل عقبة السلولي .

وهكذا كان عقبة بن الحجاج السلولي خاتمة الولاة العظام الذين قاموا بدور بارز في الجهاد وراء جبال البرانس حيث كانت تلك السمة البارزة لعهد الولاة وهو النشاط الواضح لعمليات الجهاد وراء جبال البرانس رغم ما أصاب ذلك من توقف لظروف داخلية وخارجية فإن أحداث الصراع بين العباسيين والأمويين وأحداث الشرق انعكست بدورها على دور الاندلس في نشر الإسلام شمال هذه الجبال العاليه الشامخة ذات المعابر الضيقة القليلة .

وجاء بعده حكام ضعفاء كانوا أعجز من أن يحافظوا على تراث القواد الكبار الذي بذل في فتح تلك المناطق فقد تبددت تلك المساحة الواسعة التي خضعت للمسلمين في فرنسا ولم تعد لهم غير رقعة صغير ظلوا متمسكين فيها حيناً من الزمن هي ناربونه Narbonne التي صمدت صمود الابطال أمام هجمات شارل مارتل وأخيه شليدبراند ، لكن شارل مارتل أصبح أقوى شخصيه في أوروبا بعد انتصاره على العرب المسلمين عام ١١٤هـ / ٧٣٢م حتى وفاته عام ٧٤١م وقد استطاع بثمرة التمتع هذا الانتصار أكثر من تسع ستوات وكذلك انتصاره على قبائل الرين الوثنية ، ولم يعد بطل المسيحية ومنقذها من العرب يقف أمام الملك بلباس محافظ القصر بل كان هو الملك الفعلى حيث أمسك بيده كل أطراف السلطة وجمد منصب الملك (تيودوريك الرابع) ليتاح له ولأبنائه أن يكونوا ملوك المستقبل (بين القيصر) وحفيده شارل مارتل .

لكن النفوذ الإسلامي لم يكن ليدوم له الحال في ناربونه لاسيما أن خليفة شارل مارتل ابنه ببيان القصر Pepinlbreaf (١٣٣هـ/ ٧٥٢م) قد حارب المسلمين في الجنوب وقد ظل بيني القصر يحكم مملكة الفرنجة مدة تقترب من سبعة عشر عاما (٧٥١-٧٦٨م) وفي عهد بيني القصير ، ابن شارل مارتل ضعف النفوذ الإسلامي إلى حد كبير والتواجد الإسلامي في جنوب فرنسا ، حقيقة عاد المسلمون لغزو جنوب فرنسا عدة مرات واجتاح المناطق الواقعة على الناحية الأخرى من جبال البرت الا أن هذه العودة كانت مؤقتة وكان باهتا في امكان تثبيت أقدام المسلمين في تلك الجهات ومتابعة نشاطهم فيها ISCOTT, History of Moorish Empire in Euorpe p209 (اراء غربية عكس حقيقة الواقع الإسلامي والتأثير القوى الفعال في تلك المناطق) كما كان من أثر موقعه بلاط الشهداء وتغير الاحوال في شبه الجزيرة الاريتريه وتولي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (١٣٨هـ) الحكم في الاندلس حيث تثبت دولة الفرنجة في عهد بين القصير ابن شارل مارتل سياسة جديدة ترمي إلى تعضيد روح الثورة والفتنة في الاندلس الإسلامية ذاتها توطئة للانقضاض عليه لطرد المسلمين منها بعد أن انهارت سيادتهم وسلطتهم في جنوب فرنسا وأصبح في الإمكان احداث ذلك أيضا في الاندلس .

وكان سكان سيتماتيه المسيحيون قد وثبوا تحت قيادة القوطي انسمندس Ance-mundas وبمساعدة جيش الفرنجة على المسلمين في سيتماتيه وتم طردهم من أهم مدنها عام ٧٥٢م أي في سنوات قليلة بعد دخول عبد الرحمن الداخل إلى الاندلس واستعاد الفرنجة مدن نيمه وأجد ويزلى وماجلون وفرضوا الحصار على اربونه كما سيف القول ونجح المسلمون خلال الحصار في قتل القائد القوطي . وطال حصار المدينة نظرا لانشغال بينين القصير في اخماد بعض الثورات في بلاده . وكان أول عمل قام به عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨) بعد أن تولى الحكم بعامين فقط (١٤٠هـ/ ٧٥٨) أن حاول فك حصار اربونه فأرسل فرقة من جيشه لذلك ولكنها فشلت في اخراج المدينة من محنتها وقضى مسيحوا

جبال البرت على هذه الفرقة (لاحظ خطورة هذه المعابر على تحرك المسلمين للشمال وصولاً للأراضي الفرنسية) وأعقب ذلك تأمر المسيحيين من أهل المدينة مع بينين القصير لتمكنيه من دخول المدينة وتمت المؤامرة ودخل الفرنجة مدينة اربونه بعد أن أجهز المسيحيون على الحامية الإسلامية فيها عام ٧٥٩م/١٤١هـ وفقد المسلمون هذه المدينة بعد أن خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عاماً وانعش هذا الفتح مملكه الفرنجة في عهد بين القيصر واعتبرت جبال البرت الحدود الطبيعية لبلادة . وبهذا القت اربونه سلاحها الأخير على يد بينين القصير Pepinlebreف بعد أربع سنوات من الدفاع المستميت وكان ذلك مؤذن للمسلمين بأن أحلامهم التوسعية في أوروبا وراء جبال البرنيه قد انتهت وافتنوا منذ سقوط اربونه بالانصراف إلى الاندلس ومعالجة شئونها الداخلية لأن أوروبا في عهد خلفاء شارل مارتل الاسرة الكارولونجية) لم تعد تمارس الدور الدفاعي ضد غزوات العرب المسلمين وإنما انتقلت إلى الهجوم على الاندلس نفسها معلنة حرب الاسترداد التي أخذت بدايتها في عهد شارلمان حفيد شارل مارتل لمحاولة طرد المسلمين من الاندلس وإعادتها إلى حظيرة المسيحية من جديد راسماً سياسة متحينة الفرص لإخراج هذه السياسة إلى حيز التنفيذ .

ولقد كانت هناك عدة أسباب لم يستطيع المسلمين السير على هدهما للحفاظ على الأراضي الفرنسية شمال جبال البرانس، ذلك أنهم لم يستغلوا التنافس الذي ظهر بين أبناء شارل مارتل بعد وفاته واضطراب الأمور في مملكته بعدموته ، ذلك أن التنافس كان بين ثلاثة من أبنائه لكن بينين القصير الثالث حسم الأمر لنفسه لكن الظروف لم تساعد المسلمين على الاستفادة من هذه الفرصة استفادة كاملة ولا حتى انتهازاها .

ذلك لان فتنة البربر في الاندلس وأفريقية (المغرب) كانت إذا ذاك على أشدها فتوقف المسلمون عن امداد قواتهم الإسلامية فيما وراء جبال البرانس وحدثت بعض السفتن والنزاع بين القسيسيه والسبائية حال دون الانطلاق لتوطيد دعائم

المقاطعات الثلاث الكبرى في جنوب فرنسا وتركت دون حماية حتى كان عام ١٤١هـ/٧٥٩م نهاية الوجود الإسلامي في فرنسا وهكذا وضعت نهاية للوجود الإسلامي لاسيما وأن المسلمين كانوا قد استولوا بالتدريج علي نصف فرنسا الحالية الذي يبدأ من ضفاف نهر اللوار وينتهي عند مقاطعة فرنسش كونته وهناك ترك المسلمين أثراً عميقاً في اللغة والدم فقد استقر أكثرهم في الأراضي الواقعة قريباً من المدن واشتغلوا بالزراعة والصناعة وأدخلوا صناعة السجاد إلى أبوسون وعلموا الأهالي كثيراً من أساليب الزراعة كما امتزجوا بالسكان وأصبح للعرب أحفاد في أماكن كثيرة في فرنسا كما أثبتت ذلك دراسة على الأجناس البشرية» وقد تحدث أحد رؤساء الجمهورية الفرنسية السابقين (جاستود ومرج) فقال أن المسلمين كانوا أرحم الفاتحين وأكثر الأمم الناهضة القوة شهامة وعدلاً وهذه العوامل النبيلة قد ساعدت في انتشار سلطانهم وخضوع الأمم لحكمهم العادل الشريف .

وقد ساعد الفرنسيين ومن تحالف معهم على إنهاء هذا الوجود ان قيادة القوات الإسلامية في أرض فرنسا قد صارت بعد هرقمه إلى عبد الرحمن بن علقمة اللخمي وكان هذا يمينا متعصبا فلما سمع بمقتل عبد الملك بن فطين القهري وهو من بني جلدته وجنسه قرر حشد كل قوات فرنسا شمال جبال البرانس (والانسحاب الإسلامي من فرنسا) وتقدره المصادر الأوربية بمائة ألف مقاتل وسار بها لمساعدة أبناء عبد الملك بن فطين في الاستيلاء على السلطة وحكم الأندلس وأدى هذا الانسحاب القوى إلى ضعف شأن المسلمين في فرنسا وكان هذا التحرك العسكري بقوات المسلمين عوده إلى الأندلس بدلا من زيادة هذه القوات والتوسع نجدها تعود من أجل العصبية وكان ذلك سببا قويا أدى إلى زوال سلطان المسلمين في تلك البقاع وكان تورط حاكم المناطق شمال جبال البرت والدخول في الصراع الدائر على أرض الأندلس بين الفئات المتحاربه قد أفقده خيرة جنده في هذا الصراع وكانت هذه الصراعات من الأسباب القوية التي أضاعت أمل المسلمين في الثبات فميا وراء البرانس، وكان من جراء هذا الانسحاب المكثف والصراعات والتحركات

العسكرية الإسلامية تاركه أرض فرنسا أن تخلص سكان سيتماتييه ومدنها مثل تيمه مجاونه بيزيمه من الحكم الإسلامي وقامت بها حكومات محليه من أهلها وكذلك كون سكان امارات البرانس مثل كيتزيه وتيريه حكم محلي لهم بعد أن خلعوا طاعة المسلمين وصار أمر أهلها بأنفسهم .

ولكن عندما استقر أمر الاندلس (ليوسف الفهري «١٢٩هـ/١٣٨هـ - ٧٤٧/٧٥٦م» فإنه ارسل ابنه عبد الرحمن الى النواحي الشماليه من البرانس لإقرار أمرا الإسلام بها لكنه لقي مقاومة عنيفة وكانت المواصلات بين المسلمين في اربونه وبين المسلمين في شمال الاندلس قد قطعت فطمع فيهم قافر بن اودو» دوق اكويتانيه وكان عبد الرحمن اللخمي قد عاد إلي اربونه بعد هزيمته في الاندلس ولكن امره كان قد ضعف بسبب ما فقد من جنده في الاندلس (ابراهيم طرخان: المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ص ١٥٨ - ص ١٦٨).

لكن كيف طويت صفحة من صفحات النضال الاسلامي في فرنسا من أجل نشر العقيدة الاسلامية السمتحة في القارة الأوروبية بعد كفاح دام أكثر من خمسين عاما على ربوع هذه الأراضي . وتقول عودة لما ذكر سابقا أن الأمور بعد أن استقرت في شمال فرنسا لبينين القصير بن شارل مارتل حيث كان المسلمون يسيطرون على جنوب البلاد فإنه استطاع ان يقضى على كل المنازعات ويدعم ملكه في الشمال ولما كان تفرغه لانهاء الوجود الاسلامي في جنوب بلاده وخاصة أربويه وقد سبق الحديث عن ذلك . لكن بعد أن سقطت أربويه عام ١٤١ هـ / ٧٥٩م لم يتبقى في فرنسا كلها الا جماعات صغيرة من المسلمين سيطرت على بعض نواحي مدن دوفيه ، دوقنيه ، كونيته ، تنيس .

واعتصمت جماعات منهم في شمال جبال الألب الغربية وظلت هذه الجماعات تقيم في تلك الأنحاء فترة طويلة من الزمن ، بل أن بعض المصادر الأوروبية منها تذكر أن هؤلاء المسلمين قد استولوا بعد سقوط أربويه على جرنوبل ، وقد يكون ذلك كرد فعل على سقوط مدينة أربويه في أيدي الفرنجة فاستطاع المسلمون

السيطرة على المدينة وقد ظلت هذه الجماعات الاسلامية متحصنة فى حصونها فترة تزيد على مائة وثلاثين عاما بعد سقوط أربويه (٢٧٢ هـ / ٨٨٩ م المعقل الرئيسى والقوى فى الشمال فى أيدى الفرنجة وقد وصل المدد والعون الاسلامى لتلك المناطق من جزيرة صقلية بعد أن سيطر عليها المسلمون وفتحها بنى الأغلب حكام تونس .

وقد كان لسقوط أربويه أثر كبير فى ضعف الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا اذ بسقوطها انتهى الوضع الاسلامى نهائيا فى فرنسا وقطع رجال العصابات المسيحية فى ممرات جبال البرت الاتصال مع هذه البقايا وكان من الطبيعى أن لا يصل أدنى مدد عبر تلك الممرات الى بقايا الوجود الاسلامى لاسيما ان حركة الاسترداد قد استمدت العون من فرنسا وكانت هذه بداية الانهيار الاسلامى فى الأندلس، راجع كتاب كيف ضاع الاسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون تأليف الدكتور عبدالفتاح الغنيمى القاهرة (١٩٩٣).

ونهاية تقول انه لم تكن هذه المعارك التى دارت رحاها فى سهول فرنسا ولا سقوط الحصون الاسلامية فى جنوبها هى التى منعت المسلمين من العودة الى هذه الأقاليم والاصرار على الفتح ونشر العقيدة الاسلامية فى ربوع أوروبا وليس فرنسا فقط وانما الذى أوقف المد الاسلامى فى فرنسا وباقي الدول الأوروبية المجاورة والوصول الى القسطنطينية ثم دمشق فى ذلك الوقت هم المسلمون أنفسهم بما نشب بينهم من فتن عصبية بين العرب أنفسهم من يمينه وسبائيه وعدنانية (قيسه) وبين العرب والبربر من ناحية أخرى وما حرمهم عن مواصلة الفتوح الاسلامية فى أوروبا غير أحقاد النفوذ والسلطة والرغبة فى أن تكون الولاية والقيادة لعصبية دون عصبية غيرها، ولم تكن قوة الفرنجة كما حاولت ان توضح تلك المصادر الأوروبية سببا فى التوقف عن الفتح ثم الانهيار فى النهاية، ان الاسباب السابق الاشارة اليها كانت هى الاسباب القوية وراء انهيار الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا وشمال جبال البرت بل ان بعض هذه العوامل فعلت فعلها فى معركة بلاط

الشهداء وكما قال استاده الجيل الدكتور (بنت الشاطيء) عائشة عبدالرحمن لقد نجح العرب المسلمون حضاريا بما قدموه للبشرية، لكنهم فشلوا سياسيا وذلك فى احدى مقالاتها الاسبوعية التى تكتبها فى صحيفة الأهرام القاهرية كل خميس من كل اسبوع.

وبذلك تكون بهذه العجالة قد استطعنا أن نلقى الضوء على معركة بلاط الشهداء (أبواتيه) المقدمات والنتائج والعوامل المؤدية الى انهيار الوجود الاسلامى فى فرنسا وكيف أن انهيار الوجود الاسلامى فى أربويه عام ١٤١ / ٧٥٩ كان مقدمة نهاية الوجود الاسلامى فى الأندلس ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م. وتلك صفحات عن بلاط الشهداء التى دارت رحاها على أرض فرنسا عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م. معركة دارت أحداثها منذ مايقرب من ثلاثة عشر قرنا عام ١١٤ هـ - ١٤١٥ هـ / ٧٣٢ - ١٩٩٤ لكن صدها يتردد فى عصرنا الحديث لاسيما منذ ظهور حركة الصحوة الاسلامية فى بداية الثمانينات من القرن العشرين هى احياء للذاكرة العربية الاسلامية لكن كتاب الغرب الأوربيين لازالوا يذكرون أحداث هذه المعركة بنشر كتب ظهرت حديثا تحاول أن تحذر الأجيال الحاضرة من مخاطر الصحوة الاسلامية لاسيما فى شمال أفريقيا (بلاد المغرب العربى) لأنهم كانوا فى ذلك خطرا مباشرا على الكيان المسيحى فى الزحف الاسلامى الواسع الانتشار عبر الهجرات المتصلة والتى تستقر فى فرنسا لاسيما أن فرنسا يوجد بها حاليا (١٩٩٦م) أكثر من اربعة ملايين مسلم من بينهم حوالى ثلاثة ملايين حاملين للجنسية الفرنسية ويكونون نواة للوجود الإسلامى سوف تزداد مع المستقبل.

الفصل الثامن

لن تكون بلاط شهداء (بواتيه)
أخرى فى القرن الحادى والعشرين

لن تكون بلاط شهداء ابواتيه أخرى في القرن الحادي والعشرين

منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا هجرياً (ألف وثلاثمائة عام وبالتحديد في عام ١١٤ هـ). ذلك الزمن البعيد العميق في عمق التاريخ الانساني (٧٣٢ م - ١٩٩٤ - ١٤١٦ هـ) دارت على أرض فرنسا وبالقرب من باريس العاصمة الحالية للبلاد. معركة من المعارك التاريخية التي كانت بين جند الإسلام الزاحف من الأندلس عبورا بجبال البرانس رافعا قرآنه الكريم شارحا للشعوب الفرنجية ماتحويه تعاليم هذا الكتاب الكريم المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ طالبا من هذه الشعوب الدخول في هذه العقيدة السمحة التي تساوى بين الأجناس وترفع الظلم عن كاهل هذه الشعوب ولما كانت الدعوة لا تلقى قبولا من الشعوب الوثنية أو المسيحية فإن رجال العقيدة كانوا يرفعون المصحف في يد والدفاع بالسلاح في يد أخرى ومن هنا فقد كان الزحف الإسلامي لهداية هذه الشعوب سببا مباشرا لعبور جبال البرت للدعوة والاقناع.

لكن على الجانب الآخر كانت أوروبا ترى في الزحف الإسلامي القوى الذي استطاع أن يطوى أراضى شبه الجزيرة الايبيرية في أقل من أربع سنوات (٩٢ - ٩٥ هـ) خطر يهدد القارة فكان لابد من الوقوف في وجه هذا الهجوم الزحف ومن هنا أحسنت أوروبا استعدادها ودعت شعوب أوروبا في ألمانيا وإيطاليا والبلغار والجرمان والسكسون ليقفوا جميعا خلف شارل مارتل (٧١٤ - ٧٤١ م) الذي وضعت أوروبا فيه آمالها لوقف هذا الزحف الذي أحتوى أسبانيا سابقا.

ودارت هذه المعركة التي أطلقت عليها المصادر الإسلامية بلاط الشهداء وأطلقت عليها المعارك الأوروبية بواتية أو تور حيث وقفت تلك المعركة سدا مانعا في للدفاع الإسلامي للتقدم نحو أرجاء أوروبا الواسعة لاسيما أن الخطة الإسلامية كانت تهدف الوصول الى دمشق عاصمة الخلافة الإسلامية عبورا لمناطق فرنسا وجنوب الألب والدانوب وصولا الى القسطنطينية لكن لم تحقق هذه الحملة

أهدافها التي رسمت لتحقيقها وقد تغننت أوروبا بنتائج هذه المعركة قائلين ان هذه المعركة قد حالت دون قراءة القرآن في جامعات كمبرج واكسفورد وباريس والسربون ورغم مضي كل هذه السنوات البعيدة فان ذكرى هذه المعركة لازالت عالقة بذهن الانسان الأوروبي ونحن في نهاية القرن العشرين (١٩٩٦م) وعلى أبواب القرن الحادى والعشرين . ذلك لأن الذاكرة الأوروبية لاتزال تعى أحداث هذه المعركة التي لا يدركونها أو أحداثها في عالمنا العربى والإسلامى سوى القلة المتخصصة في التاريخ الإسلامى لاسيما تاريخ الأندلس وان كان يعلم بها بعض المثقفين فى عالمنا الإسلامى فإن المعركة لاتخرج عن معركة اسم (بلاط الشهداء) وقد سبق ان ذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل الصحفى المصرى القدير فى مؤتمر الإدارة العليا الذى عقد فى مدينة الاسكندرية بمصر فى الخميس ٢٧ / ١٠ / ١٩٩٤م ونشرت جريدة الأهرام القاهرة بتاريخ ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٤م ملخصا لهذه الندوة تحت عنوان مصر وتحديات القرن الحادى العشرون قال بالحرف الواحد أن المواريث القديمة تظفو على السطح مع نهاية القرن العشرين حيث ظهرت المواريث القديمة تظفو على السطح مع نهاية القرن العشرين حيث ظهرت المواريث القديمة والمتغيرات الثقافية الكاملة فلماذا أوروبا تتحدث بعصبية وصياح وفزع عن خطر الإسلام الزاحف وتنادى لرد بوانيه poitiers الدينية الاجتماعية التي حلت محل بواتيه عسكرية كاد بها الإسلام ان يدخل كل أوروبا لولا أن تصدى «شارل مارتل charls Martel لوقف رحف المسلمين على كل أوروبا .

ونحن نتساءل عن الاحساس بالخطر فى أوروبا من الدور الإسلامى ، والحركة الإسلامية التي بدأت تصحوا منذ عام ١٩٧٩ م . منذ أن حققت الثورة فى ايران سيطرتها على مقاليد الأمور فى البلاد وسيطرة رجال الدين بزعامة آية الله الخميني وازاحه حكم الشاه محمد رضا بهلوى كان ذلك الحدث له ردود فعل فى العالم الإسلامى والعالم الأوروبى والأمريكى بوجه خاص لاسيما أن الحكم الإسلامى فى ايران يعنى الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية الشيعية . ومن هنا فقد بدأت أوروبا تدرك أبعاد هذه الحركة الإسلامية التي تتبعها بعض الإرهابيات الإسلامية

فى العديد من الأقطار الإسلامية محاولة البحث عن الأصول الإسلامية السلفية التى تعتمد على المصدرين الرئيسيين للشريعة والحكم وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واللذين ارتكز عليهما الحكم الإسلامى طوال عصور التقدم والتطور الإسلامى .

ومن هنا ابدى العالم الغربى بجميع أقطاره فى أوروبا وأمريكا اهتماما بالغاً فى الربع الأخير من القرن العشرين لدراسة مستقبل الدور الحضارى للإسلام وتيارات الحركة الإسلامية فى جميع بلاد العالم الإسلامى ومعرفة أوضاع الأصوليين (السلفيين) فى هذه الأقطار متخذة مواقف معادية أو متخوفة من الصحوة الإسلامية المعاصرة وما يعقبها من الأخطار القوية التى تهدد الحضارة الغربية فى تصورهم الخاطيء بل أن هذا الاحساس الأوروبى الغربى إزاء خطر الإسلام كما فى تصورهم قد زاد أكثر بعد عام ١٩٨٩ بعد أن انتهت الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى وتصدع الاتحاد السوفيتى وسقوط حائط برلين وانفصال شرق أوروبا وجمهويات آسيا الوسطى وبات النظام الشمولى لا وجود له على خريطة السياسة العالمية وتفردت الولايات المتحدة بقيادة المسيرة العالمية يتبعها حلفائها فى أوروبا الغربية وظهور نظام دولى جديد يقوده المعسكر الغربى ومن هنا ظهر الاحساس القوى بالخطر الإسلامى فى تصورهم وأبدوا دراسة له لكن القوى الغربية المسيحية تصوراً منها بوجود خطر إسلامى يتهديها فى حالة صحوة هذه الشعوب ومن هنا ظهرت العديد من الكتابات والمؤلفات التى تتحدث عن أخطار ومخاطر الإسلام على أوروبا والولايات المتحدة وظهرت كتابات كثيرة، كان على رأسها كتاب الرئيس السابق للولايات المتحدة (نكسون) وكذلك ماجاء على لسان هيلموت كول رئيس وزراء ألمانيا بقوله بالحرف الواحد أن الأصوليين فى الجزائر لو أتيح لهم الاستيلاء على السلطة السياسية وقيادة نظام الحكم بها وأنه لو وضعت فى أيديهم صواريخ متوسطة المدى فسوف يهددون أوروبا وكذلك قول شيمون بيريز وزير خارجية اسرائيل (رئيس وزراء اسرائيل حالياً ١٩٩٦م) وكان يشارك أخيراً فى اجتماع المجلس الأوروبى فى أسبانيا أو آخر سبتمبر ١٩٩٤م كان أهم

مقاله فى جلسة مغلقة (أن الغرب عليه أن يقف وراء اسرائيل باعتبارها الحاجز للإسلام والواقى لأوروبا ضد زحفه وعودته. ومن هنا فإن اسرائيل تقدم نفسها للعالم الغربى ضد خطر الإسلام (الأهرام ٨ / ١٠ / ١٩٩٤) أن أوروبا يجب أن تقف خلف اسرائيل وتساعد فى القضاء على الحركة الأصولية فى العالم الإسلامى لهذا يشعر العالم الغربى (أوروبا وأمريكا) بضرورة محاربة الإسلام فى داره والقضاء عليه وعدم اتاحة الفرصة على الاطلاق لظهور حركة سلفية تدعو للعودة إلى الأصول الإسلامية بل أنها سخرت بعض الدول فى منطقة الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا لكى تكون أداة رئيسية فى يد أمريكا وأوروبا) لتحدى وتصفيه أى تيار إسلامى حقيقى يدعو للصحوه وقد يهدد مصالحها فى المنطقة أو العالم الثالث على المدى القريب والبعيد أو يهدد نظام الحكم فى تلك البلاد.

ومن هنا تحركت دول أوروبا جميعها دون استثناء سواء كان الفاتيكان أو فرنسا وألمانيا والمجلترا وهولندا وغيرها من الأقطار الأوروبية الأخرى لكى تحاول دراسة ما يحدث فى العالم العربى والإسلامى ومن هنا عقدت المؤتمرات والندوات والدراسات التى تقوم بها المؤسسات العلمية والأكاديمية ومراكز البحوث ومراكز استطلاع الرأى وكان جحافل المسلمين تقف على بعد أقدام أو ستيترات على أبواب أوروبا تهدد باجتياحها واخضاعها للسند الإسلامى وكأنا نعيش القرن الثانى الهجرى القرن الخامس عشر الهجرى أو القرن الثامن الميلادى وليس القرن العشرين ومن هنا كانت العديد من الندوات والمؤتمرات التى عقدت ولا زالت تعقد فى أوروبا والولايات المتحدة لاسيما خلال السنوات الخمسة الماضية (١٩٨٩ - ١٩٩٤م) لاسيما وقد انتابت الأوساط الأكاديمية والعلمية والمنظمات فى هذه البلاد خلال الفترة الأخيرة من العام الحالى فلم يعد ينقض شهرا أو شهرين إلا وتعقد ندوة أو مؤتمرا وقد كان أو أكثرها حول الإسلام لكن الصورة فى الولايات المتحدة أسرع حيث أصبحت تعقد هذه الندوات بمعدل ندوة أو مؤتمر كل اسبوع وهذا يظهر مدى الرغبة فى معرفة حقيقة الإسلام وماذا يحدث فى العالم الإسلامى انطلاقا من أندونيسيا شرقا مرورا بماليزيا وبنجلاديش وباكستان وإيران والعراق وتركيا

والعالم العربى والشمال الأفريقى لاسيما الجزائر ومحاولة كل هذه المؤتمرات معرفة ورؤية ظاهرة الصحوة الإسلامية ولا أقول (الاحياء الإسلامى) لأن الأحياء يعنى أحياء بعد موت وان الإسلام لم يمت) حتى يطلق بعض الكتاب لفظ الاحياء الإسلامى .

ونحن هنا نقول فعلا. عن الأستاذ هيكىل (إن الشعوب الإسلامية الفقيرة عندما تريد أن تعبر عن أحلامها وهى ترى أنها تعيش تحت الاستغلال ونهب الموارد والحقوق فإنه لا يوجد طريق إلا اللجوء للدين حماية وحصنا ومن هنا فإن الصحوة الإسلامية أو السلفية الإسلامية التى بدأت تنتشر فى أرجاء العالم الإسلامى (بعيدة عن التطرف والعنف والإرهاب الذى لا يقره الإسلام والذى لا يدعو له والذى يكون ظهوره يعود إلى عوامل اجتماعية أو نفسية أو احساس بالاحباط وتمردا على النمط الغربى فى المعيشة) ذلك لأن الشعوب الإسلامية تتعرض فى الآونة الأخيرة ليس لنهب الموارد الاقتصادية والاستغلال والسيطرة بقدر ما هو غزو فكرى وثقافى محاولا اقتلاع جذور المفاهيم والقيم والمعايير الإسلامية عن طريق الاعلام المسلط على الشخصية العربية الإسلامية بل أكثر من ذلك محاولة التأثير على الثوابت العقائدية كما جاء في الكتاب الكريم السنة ومن هنا كان الاحتماء واللجوء للدين وقوفا ضد التيار الثقافى والفكرى والغربى ولا أقول التيار التكنولوجى العلمى التقنى فى مجالات الزراعة والصناعة والعلم والأبحاث . لاسيما أن محاولة اقنلاع جذور اللغة والدين والعقيدة والنشاط الاعلامى الغزير (الأوروبى الأمريكى فى خلال السنوات الأخيرة تركيزا على رقعة واسعة من العالم الإسلامى امتداد من أندونيسيا شرقا إلى المغرب غربا ومن هنا زادت الحساسية داخل العالم الإسلامى أكثر فأكثر إزاء تلك المعابر الغربية الأوروبية الأمريكية التى تحاول تثبيت مفاهيم وقيم المجتمع الغربى دون مراعاة للقيم الحضارية الإسلامية العربية الشرقية ومن هناك كانت التيارات الإسلامية حفاظا للفكر الإسلامى وحماية للإسلام من التطور العلمانى الذى يتعارض مع المفاهيم ومصطلحات الصحوة الإسلامية .

إن أوروبا عندما تتصور خطر معركة بواتيه فى القرن الحادى والعشرين فإن ذلك تصور خاطئ بل هى تدرك ومعها الولايات المتحدة حقيقة الأوضاع فى العالم الإسلامى معرفة تامة فالعالم الإسلامى الذى يشكل سكانه ثلث سكان العالم ١.٢٥٠ مليار وخمسين مليون نسمة يشكلون كما عدديا وليس كيفيا بشريا علميا متطور يقف على تقنية علمية متطورة شأنه شأن الانسان الغربى الذى يمتلك كل الوسائل والأساليب الحضارية العالية (سفن الفضاء - مكوك الفضاء - الأقمار الصناعية - الحرب الفضائية - حرب الكواكب) وكذلك العالم الغربى يعلم ان هذا الكم الرقوى ممزقا إلى أكثر من ثمانية وخمسين دولة إسلامية (دول منظمة المؤتمر الإسلامية بل هم مقسمون بين قوميات متعددة (التركي ، الباكستاني ، الهندي ، الايراني ، العربي مقسم إلى اثنين وعشرين دولة الماليزي ، الصينى والأندونيسى) مقال لنا بعنواات المسلمون بين وحدة العقيدة والانتماء القومى (جريدة الندوة السعودية جماد الأول ١٣٩٧ هـ) فليس هناك وحدة سياسية تجمع هذه الشعوب المتفرقة الموزعة بين أقطار متعددة ولا يوجد ما يجمعها الا أداء فريضة الحج كل عام «التوحيد فى العبادات ومن هنا فإنه لا توجد قوة إسلامية كما هو واضح ومفهوم فى وحدة الولايات المتحدة وحولها دول أوروبا الغربية وكندا والمكسيك أو الوحدة الأوربية) ان العالم الإسلامى يعيش ممزقا فليس هناك خطر يهدد أوروبا من هذا العالم عسكريا ولا علميا ولا اقتصاديا ولا سياسيا بل إن العالم العربى ٢٥٠ مليون نسمة قسمون إلى اثنين وعشرين دولة وهناك محاولات (الأقليات فى العالم العربى سعد الدين ابراهيم) تقسيم العالم العربى إلى خمسين أو ٥٥ اقليما فكيف يكن القلب الإسلامى الممزق حاليا . والذى خرجت منه قوات عبدالرحمن الغافقى عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م عندما كان كل العالم العربى يخضع لقيادة واحدة قى دمشق عاصمة الخلافة الأموية فى حين يوجد حاليا اثنين وعشرين عاصمة كل منها تتخذ قرارا منفردا إضافة إلى أن هذه المنطقة العربية فى ظل النظام العالمى الجديد وفرض عليها سياسة الأمر الواقع والخضوع للسياسة

المرسومة والخاضعة للتنفيذ الاقتصادي الاسرائيلي (السوق الشرق أوسطية وأقوال شمون بيريز) رئيس وزراء اسرائيل فأين هو الخطر على أوروبا وأين هنا بلاط شهداء أخرى .

إن العالم الإسلامي لن يستطيع أن يوحد قوات عسكرية تقدر بعد ثلاثة عشر قرناً للعبور إلى أوروبا و نشر الإسلام بين الغرب لكن التفوق العلمي والتكنولوجي والعسكري بين العالم الغربي والعالم الإسلامي الذي يزيد فاصلاً عن مائتي عام ان لم يكن أكثر وكيف لعالم يعيش في ظل الانتاج العلمي والعسكري والتكنولوجي في جميع أساليب الحياة وهو من الانتاج الغربي قادر على غزو هذا العالم انها فكرة مأكرة خبيثة تحاول النيل من الإسلام وأهله واضعافه أكثر مما فيه من تمزيق أقطاره وإثارة النعرة القبلية (عرب وبربر - عرب و فرس (ايران - سنة وشيعة) وغيرها من الأساليب الدينية التي يدركها المثقف العربي المسلم الواعي لأساليب الخداع الغربي والتي تتطور وفق أساليب تتلائم والمتغيرات الزمنية .

إن العالم الإسلامي الذي يعيش بين المتناقضات حيث أن هناك شعوب إسلامية تموت من الجوع مثلما يحدث في الصومال ومناطق الجفاف في أفريقية وشعوب تموت من الشيع في دول الخليج) كيف يتسنى لها ان شكل وحدة واحدة قادرة على أن تقود بوائيه أخرى في القرن القادم (الحادي والعشرين) والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والحدودية لا نهاية لها . كيف أن الجامعة العربية التي انشئت منذ عام ١٩٤٥ (خمسين عام ١٩٩٥ م) ولم استطع أن تحقق حلم الشعوب العربية في الوحدة . بل كيف وأن شعار الوحدة العربية الذي ارتفع خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن أصبح شعار العداء والكراهية والتفوق داخل الحدود التي رسمها الاستعمار بعد حرب الخليج الثانية ٩٠ - ١٩٩١ م واحتلال العراق للكويت وما يسود الساحة من تسابق على الصلح مع اسرائيل والهرولة في العلاقات ومحاولات قيام وحدة بين الأردن واسرائيل والعراق مستقبلاً بعد اسقاط صدام حسين .

إن العالم الأوروبى حين يرفع شعار الخطر الإسلامى فإنه يسعى إلى تحطيم قوى الإسلام داخل حدوده وإبعاد شعوبه نهائيا فى ظل العلمنة والأمركة (راجع الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين مكتبة مدبولى والأساليب الحضارية القشرية الغربية كأفلام الجنس والخلاعة والملبس والأفلام والأساليب الغربية فى أنماط المعيشة وليس الأنماط الغربية فى أبحاث الفضاء والزراعة والعلوم والذرة والتكنولوجيا . إن هذه هى التى يجب أن يأخذ بها العالم الإسلامى حينما يتحرك بالمواكبة بين الأصالة والحداثة فإنه لا يرقض كل الأنماط الحضارية العلمية الغربية التى تتشثل فى أبحاث الذرة والتكنولوجيا العلمية والمواصلات والفضاء والطب والهندسة وكل وسائل التقدم التى يدعو إليها ديننا الإسلامى الحنيف اما عندما يتعلق بمحاربة القواعد الثابتة فإن الأصالة العميقة تقف سدا أمام كل المحاولات وليس ظهور فئة اجتماعية ترعرعت وتربت وفق معايير غربية وتتحكم فيها مفاهيم وأطر وأساليب غربية تحاول أن تطوّر المجتمع الإسلامى وفق التيار العلمانى (فشل العلمانية فى تركيا وظهور الأحزاب الإسلامية التى تبحث عن الهوية التركية الشرقية الإسلامية) ويتأتى ذلك من حصول حزب الرفاه) بزعامة نجم الدين اربكان على نسبة ٢٢٪ من مجموع الأصوات فى تركيا وهو المركز الأول فى الانتخابات حيث شغل ١٥٨ مقعد ويسعى حاليا لتشكيل حكومة إسلامية تهدد مصالح الغرب (الأهرام ٨ يناير ١٩٩٦) والذى يدعو له بعض المثقفين والنخبة التى تربت فى الغرب وتقود الحياة الفكرية والثقافية فى بعض الأقطار العربية والإسلامية.

إن التيار الإسلامى التحديثى الذى يجمع بين الأصالة (السلفية والحداثة العلمية) وفق المعايير المستقبلية هو الذى يجب أن يشكل العامل المؤثر والفعال فى وجه الحياة الإسلامية وإن كان التيار الإسلامى المحافظ يشاركه الرؤية فى ضرورة الأخذ بالأساليب الحضارية الحديثة التى تتلائم مع القيم والمواثيق والثوابت والتقاليد الإسلامية التى تسير وفق الشرع الإسلامى من خلال العمل بالكتاب والسنة .

إن المسلمين الذين ، نقوا بالإسلام ديناً وبالقرآن كتاب الله المنزل على قلب
رسوله ﷺ رسولاً وحامياً للأنبياء والمرسلين يرون في العمل بما جاء بالكتاب
والسنة واعتبارهما منهج حياة لا يتعارض مع الأساليب التي تدعو لها الحركات
الأصولية السلفية بعيداً عن التطرف والإسلام دين الوسط وعدم استخدام السلاح
في إبداء الرأي ومن هنا فإن الحركة الإسلامية تهدف إلى الاستقرار الاجتماعي
وبتطبيق القيم الإسلامية واقتناء أثر السلف الصالح والعدالة الاجتماعية والتطلع
إلى إقامة مجتمع إسلامي

واقامة دولة إسلامية ومجتمع إسلامي حقيقى وإنشاء دولة إسلامية يقودها
مسلمون مخلصون انه ولو سلمنا جدلاً استطاعة التيار الإسلامى - اقامة نظام
الدولة الإسلامية فى الجزائر دون اللجوء للعنف والارهاب والدخول فى صراع
مسلح مع السلطة . فإن ذلك لايشكل تهديدا لأوروبا لأن الوضع فى الجزائر لن
يمكن هذا التيار بما له من امكانيات أقتصادية وعلمية محدودة بقادر على أن يشكل
تهديداً على أوروبا لأن شعوباً لازالت تعيش فى حفلات تنظيم سباق الهجن
(الجمال) والخيل وتصرف أموال البترول فى القصور والرحلات والمراهات وتضع
أموالها فى بنوك أوروبا والولايات المتحدة (٧٠٠ بليون دولار) أموال عربية فى
بنوك غربية هل هي قادرة على أن تواجه دول حرب النجوم (الكواكب) والأقمار
الصناعية والوصول إلى المريخ وإنشاء محطات الفضاء وسفن ومكوك الفضاء (قوم
يعيشون فى تحقيق حلم الوصول إلى المريخ وقوم يعيشون فى سباق الهجن
(الجمال) هل هؤلاء يشكلون خطراً على أوروبا؟ لكن حقيقة يعلم الغربيون (أوروبا
 وأمريكا) أن القرآن الكريم يحقق أحلام البشرية وعلاج مشاكل الحضارة الغربية
المادية ويرون أقبال هذه الشعوب على معرفة حقيقة الإسلام ، فإن ذلك امر
يخص الحكومات الغربية وشعوبها نفسها ، أما خطر من الشرق الإسلامى فهو
شيء مستبعد وبعيد الحدوث فى ظل الخلل المعاييرى العلمى والتكنولوجى استحالة
أن تحدث فى المستقبل القريب أن مايقال عن خطر الإسلام هو خيال لا واقع
ويخضع لتصورات خياله لئس لها قدرة على التحقيق

ومن هنا فلن تكون هناك بلاط شهداء حديثة في القرن الحادي والعشرين فلتطمئن أوروبا وليطمئن كل الغرب بأن الإسلام لن يزحف عسكرياً على أوروبا ولتعش شعوب جنوب أوروبا و (فرنسا والمجلترا والمانيا) ، في أمن واطمئنان وسلام ، فالشعوب الإسلامية الممزقة قومياً والتي تعيش في ظل تخلف علمي وأساليب حياتية غير متطورة ليست قادرة في القرن القادم لتشكيل خطراً على أوروبا .

أما رغبة الشعوب الأوروبية والغربية لاسيما أنه يعيش عشرون مليون مسلم في أوروبا ، ٦ مليون مسلم في أمريكا وقد يشكلون نواة إسلامية فهذا موضوع آخر تدرك أبعاده شعوب وحكومات أوروبا والولايات الأمريكية بالرغبة في اعتناق الإسلام وليست هناك بلاط شهداء (بوانيه) أخرى إنما هي أمور تخص الغرب ولا دخل للعالم الإسلامي بها .

إن ما يشار حالياً عن بلاط شهداء (بوانيه أخرى) تهدد أوروبا قول مردود عليه بأن عمليات الاسقاط التي يسعى إليها العالم الغربي في تمزيق الكيان الإسلامي وحصاراً له في دياره وتحكما عسكرياً واقتصادياً وقد تحققت له من فترات طويلة لكن أن تكون السيطرة فكرية وثقافية وعقائدية فهذا هو رد بلاط الشهداء إلى العالم، إن العالم الإسلامي لن يستطيع مهما أوتى من قوة أن يتحرك إلى السيطرة على العالم الغربي كما أن الجاليات الإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة لا ولن تستطيع أن تشكل تحدياً للحضارة الغربية المادية انهم يحاربون ويضطهدون وتوضع العراقيل ، أمامهم سعياً لأدماجهم في الكيان الغربي وقطع كل صلة لهم بالكيان الإسلامي في بلادهم ، فهل هناك ما يسمى (بلاط الشهداء) القرن الحادي والعشرين أنها اضحوكة وسخرية من تخلف العالم الإسلامي .

الخاتمة

إنه من خلال الرؤية الواضحة لتلك الدراسة بجوانبها المتعددة ، وزواياها المحددة في تلك الفصول يتضح لنا كيف أن الخلافة الأموية قد سارت على نهج الخلفاء الراشدين في حركة المد الإسلامي وصولا بالراية الإسلامية إلى أوروبا وكيف أن انجاز فتح بلاد الغرب بعد عدة محاولات مستعصية قد جعلت المسلمين بالقرب من أوروبا وأن مضيق جبل طارق ذلك المجاز البحري لم يكن إلا مسافة في الماء تجمع بين المغرب وجنوب أوروبا فكان الاتجاه شمالا للفتح والغزو بعد أن كان متعذرا التحرك جنوبا عبر الصحراء الواسعة وصولا إلى منطقة السفانا جنوب الصحراء الكبرى حيث القبائل الزنجية .

ومن هنا كان التحرك الطبيعي شمالا لفتح الأندلس وكان أن حققت الغزوة أهدافها في السيطرة على البلاد من خلال فترة زمنية قد لا تصل إلى أربعة أعوام (٩٢-٩٥) حيث بسطت الإدارة الإسلامية لواء الإسلام على الأندلس فيما عدا مقاطعة جليقية شمال غرب الأندلس بسبب استدعاء الخلافة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦هـ) لقادة الغزو موسى بن نصير وطارق بن زياد للتوقف عن الزحف لاسيما أن الغزوة الإسلامية كانت قد اجتازت جبال البرانس عبوراً لمعابرها وتوغلاً في الأراضي الفرنسية تحقيقاً لحظة القيادة العسكرية في الأندلس لفتح القارة الأوربية وصولاً إلى القسطنطينية ثم العاصمة دمشق عبر الأراضي الأوربية في جنوب الألب وإيطاليا والبلقان وغيرها من البلاد الأوربية .

ولما كان الخليفة الوليد متردداً غير حاسماً فإنه طلب من القادة التوقف فوراً والعودة إلى دمشق ولقد كان ذلك القرار غامضاً غير واضح الهدف وإن كانت هناك تحليلات اختلفت في التفسير لكن قرار العودة كانت له آثار سلبية على حركة المد الإسلامي في أوروبا ونتائج عكسية على الوجود الإسلامي في الأندلس فيما بعد لاسيما أن المنطقة الشمالية الغربية من الأندلس التي لم يتم فتحها كانت هي البؤرة التي تحركت منها حركة الاسترداد فيما بعد حتى تم طرد المسلمين واحفادهم من الأندلس بعد ثمانية قرون وخمسة أعوام (٩٢-٨٩٧هـ - ٧١١-١٤٩٢م) .

كما أنه ترتب على قرار الانسحاب ماسيؤدي من نتائج سلبية على معركة بلاط الشهداء التي هي محور دراستنا (١١٤هـ/٧٣٢م) ذلك لأن ظروف الوضع السياسي والعسكري في فرنسا عام ٩٥هـ/٧١٦م كانت تساعد على تحقيق خطة الفتح لاسيما أن القوات الإسلامية لم تشهد قتالا قويا طوال تحركها في اسبانيا ذلك لأن الوضع السياسي في فرنسا والصراع بين محافظ القصر رئيس البلاط والملك وحكام المقاطعات ، وعدم وجود وحدة سياسية قوية وعدم وجود جيش موحد قادر على التصدي مما كان يسهل عملية اقتحام لكل فرنسا على الأقل واعتبار ذلك مرحلة أولية ثم تسبقها مراحل أخرى للوصول إلى القسطنطينية لأنه ليس من المعقول أن يكون تحرك موسى بن نصير متواصلا إذا كان لابد من التوقف لالتقاط الأنفاس ودراسة المرحلة القادمة وكان على الأقل قد تم اطواء كل فرنسا في الدائرة الإسلامية أو القارة الإسلامية التي كانت تشمل اجزاء من كل آسيا وأفريقيا وأوروبا (العالم القديم .

لاسيما أن القوات الإسلامية لم تفقد إلا أعداد قليلة في معركة لك (Lugo) شذرونها ، ولم تكن هناك معارك تحول دون اختراق جبال البرانس ولم تكن هناك قوة حقيقية تقف أمام الزحف الإسلامي لاسيما أن القوط الذين اشتهر عنهم القوة العسكرية دون الفرنجة في فرنسا، لم يصمدوا امام الزحف الإسلامي المهم أن استدعاء القيادة من الأندلس ترتب عليه ظهور عصر الولاة الذين تولوا قيادة الأمور في البلاد ، ولما كانت خطة تأمين المناطق الشرقية والشمالية للبلاد تقتضى عبور جبال البرانس وصولا إلى سهول فرنسا وأن الاستراتيجية العسكرية قد تكون لها رؤية تختلف عن رؤية القيادة السياسية في دمشق فكان أن تحرك السمع بن مالك الخولاني ١٠٠-١٠٢هـ/٧١٩-٧٢١م) تحركا واسعا في الأراضي الغربية واستطاع أن يفتح العديد من المدن والقلاع والحصون وضم إلى الأندلس مقاطعة سبتمانية التي كانت تضم سبع مدن كبرى من ذلك الاقليم حتى أن المصادر تقدرها بربع مساحة فرنسا في ذلك الوقت لكن السمع بن مالك أستشهد وهو يرفع الراية الإسلامية في معركة طلوشه (تولوز) وكان هو أول مسلم يستشهد في معركة حربية

منذ بداية الفتح مع القوات الأوربية شمال (جبال البرانس وهو أول موقف يواجه المد الإسلامي ويقف الفرجة يقاتلون المسلمون بهذه القوة حيث كانت هذه الظاهرة هي الأولى في تاريخهم العسكري حيث تركت تلك الواقعة الحربية آثارها الواضحة على الجانب الإسلامي مما زاده تصميمًا على مواصلة الفتح والجهاد وكان أن تولى قيادة القوات العائدة إلى الأندلس أحد القادة الذين سيكون له دور حاسم في تاريخ الأندلس والتاريخ الأوربي ذلك هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وعاد إدراجه سالماً بالقوات وكان أن آلت قيادة البلاد إلى عنبيه بن سحيم الكلبي (١٠٢-١٠٧هـ) وكان هذا القائد من أمثال عقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير وغيره من الفاتحين العظام فبعد أن آمن الجبهة الداخلية انطلق في غزوة سريعة واسعة الانتشار ، بالغة الأثر حيث اخترق الأراضي الفرنسية في سرعة مذهلة ووصل إلى بلدة سانس sens حيث لم يصل إليها قائد مسلم من قبل ولا بعد حيث وقفت قواته على بعد ثلاثين كيلو متر من باريس على نهر الرون Rohne لكن هناك أسباب حالت دون اكمال الفتح نظرا لبعض المشاكل الداخلية في الأندلس مما اضطره للعودة سريعا ولولا العودة لتغيرت الأمور أكثر ولسار المد الإسلامي إلى أبعاد أكثر عمقا في الأراضي الفرنسية وكان عنبيه بعد أن وصل إلى مدينة شالون قد تسفرت حملته إلى فرعين فرع سار شمالا حتى وصل إلى مدينة لالجر وفرع التجه شمالا غربا حتى وقف عند بلدة سانس على بعد ثلاثين كيلو مترا من باريس العاصمة الحالية وكانت عصابات القوط قد كمنّت له في معابر البرانس في شهر شعبان من ١٠٧هـ/ ديسمبر ٧٢٥م واستهشد عنبيه بن سحيم الكلبي وهو عائد إلى الأندلس وجاء بعده بعض الولاة الذين لم يكن لهم نشاط في الغزو خلف جبال البرت حتى آلت الأمور إلى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب معركة بلاط الشهداء (صفر ١١٢ - رمضان ١١٤هـ) (أبريل ٧٣٠ - أكتوبر ٧٣٢م) لكي يواصل مسيرة الفتح في الأراضي الفرنسية لكنه عمداً إلى اختيار طريق لم يألفه الفاتحون من قبل حيث اختار طريقا إلى غرب جبال البرت وعبر من

معابر ضيقة حيث عبر في ممرات رويشفال ولم يسلك الطريق القديم الذي يمر بستماتيه وحوض الروان واتجه مباشرة إلى بردال . . التي لا تبعد كثيرا عن ساحل المحيط الاطلنطي واندفع في مسيرته مسيطرا على العديد من المدن والاقاليم . التي سبق أن اشرنا إليها في صلب الدراسة بعد أن قطع مسافة تزيد كثيرا عن ١٣٠٠ كيلو مترا من العاصمة قرطبة واكثر من أربعمائة كيلو متر من حدود جبال البرانس . . وهناك كانت أوروبا قد عقدت عزمها وحشدت حشودها وجمعت عتادها وجيشت جيوشها ووقفت البابويهني روما تشد من أزر (شارل مارتل . . لكي يصد الزحف الإسلامي الذي كان قاب قوسين أو أدنى في السيطرة على كل الأراضي الفرنسية لاسيما إنه كان قد أعد خطه للاستقرار حيث كان يترك في كل مدينة يتم فتحها حامية عسكرية ويعيد تنظيم شئونها الادارية ولم يكن فتحها سريعا خاطفا مثلما كان يحدث من قبل ووصل في زحفه إلى بلدة تور Tours الواقعة على أحد فروع نهر اللوار حيث لم تكن تبقى أمامه إلا مسافات بسيطة حتى يكون قد اقترب من حدود الالمان والبلجيك لكن قوات فرنسا والمانيا والبلغار والسلاف والايطاليين والسكسون والبايويه (الايطاليين - اللمبارد) والتي زادت عن أربعمائة ألف جندي مقاتل في حين أن قوات الغافقي لم تكن تزيد عن سبعين ألف مقاتل ترك أكثر من ثلاثين ألف كحاميات في المدن والأقاليم التي فتحها قبل الوصول إلى مدينة تور Tour وكان ان انسحبت القوات الإسلامية جنوبا إلى موقع بالقرب من ابواتيه ودارت المعركة التي استمرت حوالي عشرة أيام احرز المسلمون انتصارات في الأيام الأولى من القتال لكن وصول بعض القوات الأوربية إلى القلب حيث تلقى القائد عبد الرحمن الغافقي رمية سهم قاتله مما جعل هناك ارتباكاً في القيادة الإسلامية وكان القائد الغافقي قد جعل مجلس الحرب والمستشارين العسكريين يعقدون مؤتمرا سرياً يتم فيه الاتفاق على الانسحاب ليلا من المعركة حيث تم الانسحاب المنظم بعد أن ترك المسلمون خيامهم وبعضاً من معداتهم في مكان المعركة كما هي مما جعل الفرنجة ومن معهم من حلفائهم لا يشعرون بخطوة الانسحاب المنظمه التي تم ابلاغها إلى كل الجنود والقادة . وفي الصباح أدرك

الفرنجية أن معسكر المسلمين كما هو لكنه ليس هناك أدنى حركة فتقدموا ليجدوا المعسكر خاليا من أية قوات وكان هذا الانسحاب المنظم دليل على قدرة المقاتل المسلم علي التمويه والتعيم وتضليل استخبارات واستطلاعات العدو التي فشلت في معرفة ميعاد الانسحاب ولما ادرك الأوربيين ماتم لم يفكروا في تتبع القوات الإسلامية المنسحبه جنوبا سواء كانوا من قوات المشاه أو الفرسان أو راكبي الدواب والإبل فلم يتحرك جندي أوروبي واحد لمتابعة حركة الانسحاب ويبدو ان عبد الملك بن فطين الفهري (١١٤-١١٦هـ/٣٢٢م/٩٣٤م) قد كان هو قائد القوات المنسحبه والمسؤل عن خطه الانسحاب مثلما فعل قبله عبد الرحمن الغافقي عندما قاد القوات الإسلامية المنسحبة عند قرقوشنه عندما استشهد السمع بن مالك الخولاني ، لكن يتبادر إلى الذهن هنا سؤال هو هل توقفت حركة الفتوح الإسلامية في جنوب فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء أم أن هناك تحركات إسلامية كانت تتحرك في تلك الأقاليم لفرض النفوذ الإسلامي ومحاولة العودة للسيطرة علي الأراضي الفرنسية من جديد . أن احلام العوده لم تكن تراود خيال القادة الذين تحركوا واقعا وحقيقة لدفع الراية الإسلامية فكان أن تحرك الولاء والقادة بعد عبد الرحمن الغافقي لاسيما أن عبد الملك الفهري قام بنشاط جهادي فيما وراء جبال البرت وتثبت الوجود الإسلامي في اقليم سيماتييه وليون وبورجونيا وذلك في العام ١١٥هـ/٧٣٣م وفي عهده حافظ المسلمون على مكتسباتهم فيما وراء جبال البرت بل أوغلوا في وادي الرون واستمر المسلمون طوال أربع سنوات في هذه المناطق يقاتلون ويستولون علي المدن قبل العوده إلى أربونه لكن الخلافة الأموية في دمشق لم تكن تضع في حساباتها في ذلك الوقت التوسع والفتوحات في فرنسا لاسيما أن عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) قد شهد الكثير من التغييرات في القيادة في المغرب . ومن هنا فإن التوقف لم يكن من أثر موقعه بلاط الشهداء بقدر ماكان بسبب عوامل داخلية في الدولة الأموية . لكنه ليس حدوث انهزام أو انسحاب واحد لأول مرة في تاريخ الفتح الإسلامي يعني توقف الفتح نهائيا . لقد خسر المسلمون أكثر من ثلاث معارك مدويه في المغرب لكن ذلك

لم يمنعهم عن مواصلة الفتح والغزو لاسيما بعد أن فشل شارل مارتل نفسه صاحب معركة بلاط الشهداء يعاونه أخيه شلديباتد Chilabrand أمام حصون أربونه أكثر من مرة ورغم الاستعانة بقوات حليفهم ملك اللمبارد الايطالي إلا أن الفشل كان من نصيبهم وظلت أربونه ثغرة في جسد شارل مارتل بل ثغرة دائمة في بلاده حتى وفاته عام ١٤١هـ (١٣٢-١٤١هـ) طوال تسعة أعوام لاسميا أن المسلمين كانوا يرون أن سيطرتهم على أربونه وفرقشونه وكذلك مقاطعة البروفانس شمال سبتماتيه ومناطق نهر الرون ومقاطعة برجنوبا Purgunda مقدمة لتحقيق طموحاتهم في استعاده ما فقدوه في فرنسا شمالا فقط عند بلاط الشهداء لكنهم بعد استشهاد الغافقي شهدت البلاد الأندلسية تولي عقبة بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦ صفر - ١٢٣هـ) (٧٣٤-٧٣٩م) وكان عقبة رجلا من طراز الغافقي لذا كان عزمه على التحرك شمالا حيث استولى على العديد من المدن والحصون شمال المنطقة الإسلامية فاستولى على دوقية ثم سان بول تردا ودوتريز واستولى على أقليم فالانس ومدينة فنين حتى أنه كاد يقترب من أراضي بواتيه وتورز حيث معركة بلاط الشهداء ، ثم إنه توسع في الإقليم الجنوبية الشرقية من فرنسا فأعاد فتح أقليم بورجويه ودخل أقليم بيدمنت في شمال ايطاليا.

وفي عهده بدأ المسلمون يستعدون مراكزهم من جديد في أرض فرنسا ومن هنا فقد احس شارل مارتل بالخطر للمرة الثانية يتهدد بلاده بعد تقدم المسلمين إلى جنوب فرنسا بحشود ضخمة ، لكن الأعمال التي قام بها عقبة السلولي لم تكن لتبلغ غايتها حيث استشهد في معركة عند مدينة قرقشونه إحدى مدن مقاطعة سبتماتيه اثناء عودته للأندلس في صفر ١٢٣هـ وقد ارتبط اسمه بحركة غزو واسعة في شمال جبال البرت وبوفاة عقبة السلولي انتهت المحاولات الإسلامية لغزو أوروبا وخمدت حركة التوسع التي لم تستطع أن تحقق التوسع النهائي بضم فرنسا وتكوين دولة إسلامية فرنسية تجاور الأندلس لاسيما أنه جاء بعد عقبة ولاء ضعاف عجزوا عن أن يحافظوا على مكتسبات الإسلام والمسلمين شمال جبال المعابر

(البرت) ولم يحاولوا انتهاز فرصة الصراع بين ابناء شارل مارتل الثالث بعد وفاته عام ٧٤١م لاسيما أن الظروف كانت تمكن لهم لكن فترة الضعف التي انتابت الخلافة الأموية بعد وفاة هشام بن عبد الملك ابن مروان عام ١٢٥هـ/ ٧٤١م جعلت القيادة الجديدة في دمشق لا تولي الاهتمام الكافي بحركة الفتوح في فرنسا (تولى ثلاثة ولاة أمويون في فترة ثلاث سنوات).

وكان تولي بينين القصير بن شارل مارتل الحكم في فرنسا ٧٤١-٧٥٨م) تعني مواصلة الجهود لاجل طرد المسلمين من بلاد شمال البرت وشهدت فترة ضعف الولاة حتى قدوم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (١٣٨هـ) إلى الأندلس استعادة الفرنجة للعديد من المدن مثل نيمه وآجد وديزلي وماجلون وفرضوا الحصار للمره الثالثة على اربونه ، وحاول عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢م/ ٧٥٦-٧٨٨م) ارسال حملة لمحاولة فك الحصار عن اربونه لكنها فشلت في اجتياز معارك جبال البرت وقضى رجال العصابات في هذه المعابر على الفرقة الإسلامية ومن ثم تم للفرنجة تنفيذ المؤامرة بمساعدة بعض المسيحيين من الأقاليم الواقعة بالقرب من المعابر في عدم السماح للمد الإسلامي للاندفاع شمالا في عهد عبد الرحمن الداخل وهذا لم يأتي عام ٧٥١م/ ١٤١هـ حتى فقد المسلمون هذه البلاد التي خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عاما على يد بينين القصير Pipin le Berf ابن شارل مارتل ووالد شارلمان .

لكن بعد سقوط ، اربونه ظلت هناك بعض المدن الصغيرة في جنوب فرنسا تخضع للسيادة الإسلامية لكن سقوط المدينة (اربون) كان نهاية التوسع في أوروبا وراء جبال البرت فقد انتهت خطط المسلمين التوسعية واقتنعوا منذ سقوط اربونه بالانصراف إلى الأندلس ولم يعد هناك أدنى تطلع للنظر شمالا أو التفكير في ارسال حملات إلى بلاد الفرنجة حيث تحولت خطة شرلمان حفيد شارل مارتل وابن بنين القصير إلى الهجوم بدلا من الدفاع ونقل ميدان المعركة إلى أراضي الأندلس نفسها بدلا من تحرك المسلمين شمالا للغزو داخل أراضي فرنسا واختل الميزان

العسكري وبدأ المسلمون في التراجع إلى داخل الأندلس وبذلك طويت صفحات معركة بلاط الشهداء بما كان لها من مقدمات وما أعقبها من نتائج ووضعت الأقلام عن الكتابة عن الوجود الإسلامي الديني والسياسي والثقافي والفكري والعلمي في فرنسا بعد عام ١٤١هـ/٧٥٩م لتكون بذلك قد اسدل الستار على بداية الرحلة ومشوار معركة بلاط الشهداء .

تم بحمد الله وتوفيقه وعونه تعالى التصحيح

في الأربعاء ١٩ شعبان ١٤١٦هـ / ١٠ يناير (كانون ثان) ١٩٩٦م

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

- ١- ابن الاثير (أبو الحسن الجري) الكامل في التاريخ : بيروت / ١٩٦٥ .
- ٢- ابن حيان (خلف بن حسن) المقتبس من تاريخ رجال الأندلس . تحقيق محمود مكى . بيروت / ١٩٣٧ .
- ٣- ابن الخطيب (محمد بن سعيد) الاحاطه في اخبار غرناطه . القاهرة / ١٩٠٤ .
- ٤- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد . المقدمة . بيروت ، ١٩٧٨ .
- ٥- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر . القاهرة ، ١٢٨٤ م .
- ٦- ابن القوطيه (أبو بكر بن محمد) تاريخ افتتاح الأندلس : مدريد ، ١٨٦٨ م .
- ٧- الحميري (محمد بن فتوح الازدي) جلدوه المقتبس في ذكر ولاه الأندلس . القاهرة ١٩٦٦ .
- ٨- الحميري (محمد بن عبد المنعم الضهاجي) الروض المعطار في خبر الاقطار ، صفة جزيرة الأندلس . تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، ١٩٣٧ م
- ٩- الطيبي (أحمد بن يحيى بن عميره) بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٠- المراكشي (أبو عبد الله بن عذاري) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب بيروت . ١٩٣٠ م .
- ١١- مؤلف مجهول : اخباره مجموعة . نشرة اميلو لافونتي أى الكترا . مدريد ١٨٦٧ م .
- ١٢- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : تحقيق أحسان عباس بيروت ١٩٦٨ م .

ثانيا : المراجع

- ١٣- ابراهيم أحمد العدوي : المسلمون والجرمان . القاهرة . ١٩٦٠م
- ١٤- ابراهيم أحمد العدوي : المجتمع الأوربي في العصور الوسطى : القاهرة ١٩٦١م .
- ١٥- ابراهيم أحمد العدوي : موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي . القاهرة . د.ت
- ١٦- إبراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا . بيروت ١٩٨٠ .
- ١٧- ابراهيم على طرخان : المسلمون في أوربا في العصور الوسطى . القاهرة ١٩٩٦ .
- ١٨- أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة ١٩٦٩ .
- ١٩- أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، الجزائر ، ١٩٥٦م
- ٢٠- جورج ريديان ، فتح الأندلس . القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢١- السيد عبد العزيز سالم «تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ١٩٦٢م .
- ٢٢- حسن على حسن : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . القاهرة ١٩٩٠م
- ٢٣- حسن محمد جوهر : اسبانيا فردوس العرب المفقود . العرب ، ١٩٧٦م .
- ٢٤- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس . القاهرة ١٩٨٠
- ٢٥- حسين مؤنس : فجر الأندلس (٧١١-٧٥٦م) القاهرة : ١٩٥٩ .
- ٢٦- ساميه مصطفى مسعد : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . القاهرة د.ت .
- ٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور . أوربا في العصور الوسطى القاهرة ١٩٦٦

- ٢٨- شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط . بيروت ١٩٦٦ .
- ٢٩- صابر محمد دياب : سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط . القاهرة : ١٩٧٣ .
- ٣٠- عبد الشافي غنيم عبد القادر : التاريخ الإسلامي حتى ١٣٢ هـ القاهرة ١٩٨٦ .
- ٣١- عبد الرحمن على حجي : التاريخ الأندلسي : القاهرة ١٩٨٣ .
- ٣٢- عبد الرحمن على حجي : الحضارة الإسلامية في الأندلس ، بيروت ١٩٦٩ م .
- ٣٣- عبد الحميد العبادي : المجلد في تاريخ الأندلس . القاهرة : ١٩٦٤ .
- ٣٤- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة تاريخ المغرب ، ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ٣٥- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والثقافة العربية في أوروبا . القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ٣٦- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون - القاهرة ١٩٩٣ .
- ٣٧- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والثقافة العربية في فرنسا (مقال) مجلة رابطه العالم الإسلامي بمكة ، ١٩٧٥ .
- ٣٨- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والمسلمون في فرنسا بعد معركه بلاط الشهداء - مجلة رابطه العالم الإسلامي - مكة ١٩٧٦ .
- ٣٩- عزيز أحمد تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة امين الطيبي ، طرابلس العرب ، ١٩٨٨ م

٤٠- عمر فروخ : العرب والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، بيروت ١٩٥٩ .

٤١- فايد حماد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٨٥ م

٤٢- فؤاد محمد فخر الدين : مستقبل المسلمين : القاهرة ١٩٧٦ .

٤٣- محمد عبد الحميد صقر . الفتح الإسلامي للاندلس ، القاهرة ١٩٨٥ .

٤٤- محمد عبد الهادي شعيره : المرابطون ، تاريخهم السياسي ، القاهرة ١٩٦٩ .

٤٥- محمد محمد الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس - الاسكندرية - ١٩٨١ .

٤٦- محمد محمد الشيخ : الممالك الجرمانية في أوربا في العصور الوسطى . الاسكندرية ١٩٧٥ .

٤٧- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس القاهرة ١٩٥٩ .

٤٨- محمد عبد الله عنان - مواقف حاسمه في تاريخ الإسلام . القاهرة ١٩٥٢ .

٤٩- محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في الأندلس والبرتغال - القاهرة - ١٩٦١ م

٥٠- حاطوم نعوم: تاريخ العصر الوسيط في أوروبا . بيروت ١٩٦٧ .

٥١- لطفي عبد البديع : الإسلام في اسبانيا .

٥٢- محمد محمود ربيع : اراء في الصحوة الإسلامية . القاهرة ١٩٥٨ .

ثالثا : الكتب المترجمة :

٥٣- دوري : تاريخ مسلمي اسبانيا . ترجمه حسن حبشي - القاهرة ، ١٩٦٣ .

٥٤- دايفز : شارلمان . ترجمة البار العربي . القاهرة : ١٩٥٩ .

- ٥٥- ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس : ترجمة السيد عبد العزيز سالم . القاهرة ١٩٦٩ .
- ٥٦- ليون ، جوستاف : حضارة العرب . ترجمة عادل زعتر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ٥٧- لين بول : العرب في اسبانيا ترجمه على الجارم ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٥٨- سيد بو . ل . أ : تاريخ العرب العام . ترجمة عادل زعتر - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٥٩- باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية : ترجمة محمد شامه . القاهرة ١٩٧٤ .
- ٦٠- ليفي بروفنسال : المعارك العربية في اسبانيا : ترجمة الطاهر مكي . القاهرة ١٩٧٤ .
- ٦١- قشير: تاريخ أوروبا العصور الوسطى . ترجمة محمد مصطفى زيادة / البار العريني . القاهرة ١٩٩٦ م .
- ٦٢- عبد المنعم ماجد . التاريخ السياسي للدولة العربية . القاهرة ١٩٦٠ .
- ٦٣- عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . بيروت ١٩٦٣ .
- ٦٤- سيدة اسماعيل كاشف . الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ١٩٦٢ .
- ٦٥- أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . الاسكندرية ١٩٦٣ .
- ٦٦- على حسن الخربوطلي : الإسلام في حوض البحر المتوسط . بيروت ١٩٧٠ .
- ٦٧- أحمد أمين : ظهر الإسلام : القاهرة ١٩٣٦ .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

- 1-Brooke, Z.N. : A history of Europe. London, 1928.
- 2- Aimond, ch : le Moyen Ages :Paris, 1917.
- 3- Altamiro R: A History of Spain From the Beginning to the present . London, 1952.
- 4- Anwar, C. Chajne, : Maslim Spain. its History and culture. 1973.
- 5- Davis, K.H. : A history of Early Mediaeval Europe . London, 1966.
- 6- Denciel, An Islam, Europe and Empire : london, 1968.
- 7- Chew, M.A Iatham, C: Europe in Middle Ages . London, 1936.
- 8- Bernharal & whishaw : Arabic Spain. london, 1976.
- 9- Daniel . The Arabs and medieval Europe . london, 1476.
- 10- Deanesly: A history of Early medieval Europe. London, 1956.
- 11- Abdel Rahman, El - Hajji : Andalusian Diplomatic Relations with western Europe during the umayyad period Beirut. 1970.
- 12- Gayangos . The History of Mohammedan Dynasties in Spain, london, 1981
- 13- Hole, M: Andalus Spain under the Muslims, London, 1958.
- 14- Freeman, E.A.: Western Europe in Eight century, london, 1904.
- 15- Hoyt, and chodorow: Europe in the Middle Ages U.S.A 1975.
- 16- Lane -poole : The Moors in Spain . London, 1967.
- 17- Levi - pronvencal , Histoire de l'Espagne Musulmane' paris 1950.
- 18- Liver more, Harold: History of Spain. London, 1966.
- 19- Murphy, J.c. History of the mohomedan Empire in Spain london, 1816

-
- 20 - Reud, JHan: The Moors in spain and portugal . London, 1974.
- 21- Relnsaud: Muslim in France, Northrern Ituly and swizerland. Lahore 1964.
- 22- Scott, S.P: History of the Moorish Empire in Europe, London, 1904.
- 23- Mercien Etseguin : charles mertel et la Butaille depoitiers. paris, 1944.
- 24- Marcais G: la Berberie Musulmane et l'orient an moyen age. Paris, 1946.
- 25- Rienaud : invasions des Arabes en France. Paris, 1984.

كتب صدرت للمؤلف

- ١- الإسلام والثقافة العربية في أوروبا . عالم الكتب ١٩٧٩ م.
 - ٢- الإسلام والعروبة في السودان العربي ١٩٨٥ م.
 - ٣- حركة المد الإسلامي في غرب افريقيا . نهضة الشرق ١٩٨٦ .
 - ٤- الإسلام والمسلمون في جزر البحر المتوسط نهضة الشرق ١٩٨٦ م
 - ٥- دور مصر الحضاري في القارة الأفريقية دار الموقف العربي ١٩٨٣ .
 - ٦- جمال حمدان في ذاكره التاريخ المؤلف ١٩٩٣ م
 - ٧- عروبة مصر قبل الإسلام دار الاشعاع ١٩٩٣ م
 - ٨- كيف ضاع الإسلام في الأندلس المؤلف ١٩٩٣ م.
 - ٩- موسوعة تاريخ المغرب الإسلامي . ٦ أجزاء مكتبة مدبولي ١٩٩٤ .
 - ١٠- الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين - مكتبة مدبولي . ١٩٩٥
 - ١١- الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا - مكتبة مدبولي . ١٩٩٦
 - ١٢- الإسلام وحضارته في قلب افريقيا - مكتبة مدبولي . ١٩٩٦
- أكثر من ألف مقال في العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامي . السعودية ، اليمن ، الكويت ، الامارات العربية ، أبو ظبي ، دبي ، الهند ، المغرب ، .
- ١- صحيفة الاهرام
 - ٢- صحيفة الندوة.
 - ٣- أخبار العالم الإسلامي

- ٤- صحيفة المدينة .
- ٥- مجلة رابطته العالم الإسلامي
- ٦- مجلة التضامن الإسلامي .
- ٧- مجلة الفيصل .
- ٨- مجلة الدعوة .
- ٩- مجلة العرب
- ١٠- مجلة قافلة الزيت
- ١١- مجلة البلاغ (الكويت)
- ١٢- مجلة الوعي الإسلامي .
- ١٣- مجلة منار الإسلام .
- ١٤- مجلة الضياء .
- ١٥- مجلة الارشاد .
- ١٦- مجلة العربي
- ١٧- مجلة دعوة الحق
- ١٨- جمعية الرائد الهندية .

رقم إيداع 96 /3298

الترقيم الدولي . I . S . B . N

9 - 081 - 232 - 977

